ليزا

نصر

أو بيت الظرفاء وفن ترجنيف

رواية ليزا أو بيت الظرفاء ـ وهو الاسم الذى اشتهرت به فى أدب الغرب ـ احدى طرائف الكاتب الروائى الروسى الكبير ايفان ترجنيف ، بل هى فى التقدير العام لادبه تعد أكثر رواياته استيفاء لشرائط الفن الصحيح ، واجملها وقعا فى نفوس قرائه ، وقد أيد هذا الحكم معظم النقاد الذين تناولوا أدب ترجنيف سواء فى ذلك النقاد الروسيون وسائر نقاد الغرب ، وهذه الرواية فى مجموعها تحفة فنية نادرة ، بديعة الصنعة ، جميلة البناء ، سلسة السرد ، وبرغم أنها تصف مجتمعا قد مضى عهده وذهبت تقاليده الى غير رجعة واختلفت طبيعة مشكلاته عن مشكلات عهدنا الحاضر الا ان ما بها من قدرة فائقة على تصوير العواطف الانسانية الكامنة وراء صور المجتمعات المتغيرة واختلاف ألوان الحضارات يجعلها من الروايات الانسانية الخالدة التى لا ينال منها توالى الأيام وتقلب الأحداث مثل هملت ودون كيشوت وفاوست وغيرها من الطرف الانسانية الخالدة .

وتدور القصة حول شخصية لافرتسكى احد الملاك الروسيين المثقفين وهو يعيش مع زوجته فارفارا بافلوفنا السادرة اللاهية فى فرنسا ، وتشاء المصادفة أن يقف لافرتسكى على ما يثبت خيانة زوجته له ، فيعود الى روسيا حزينا موجع القلب ، وتنشأ علاقة حب بينه وبين ليزا تلك الفتاة الوديعة الجذابة الورعة المخلصة ، ويبدع ترجنيف فى وصف نشوء هذا الحب الساجى العميق بين الزوج الكريم النفس الطيب القلب المخدوع فى زوجته العابثة وبين ليزا التقية النقية التى جمعت بين جمال الخلق وصفاء النفس ، وتأتى الأخبار من الخارج الى لافرتسكى بأن زوجته قد توفيت فى حادثة تصادم ، ويستعد العاشقان للزواج ، ولكن زوجة لافرتسكى تظهر فجأة ، ويتضح أن خبر وفاتها لم يكن سوى اشاعة كاذبة روتها بعض الصحف الباريسية ، فيستسلم المحبان للقضاء وتذهب ليزا فى أعقاب ذلك الى الدير .

ويستطيع القارىء البصير ان يتبين خلال متابعة أحداث الرواية ذلك المزاج الحزين الغالب على طبيعة ترجنيف ونزعة السخرية المستولية عليه وهو يتأمل فى هدوء نفاذ المعركة اليائسة التى تخوض غمارها الفضيلة فى عالم تسوده المطامع والأهواء ، وثمرات الأدب العظيم فى مختلف العصور ترينا الصراع المرير القائم بين حب الحق والتعلق بالمثل العليا . وبين ايثار المصلحة الذاتية والمنافع الموقوتة ، وتكاد تكون طيبة النفس ونزاهة القصد سلاحا مفلولا بازاء خبث الدهاة الماكرين ونكر القساة المحتالين ، وكثيرا ما نرى فيها النبل صريع عدم التردد والخير مغلوبا على أمره أمام قوة الشر ، وتجربة ترجنيف تتفق فى صميمها مع تجارب البشرية فى ماضيها الحافل الطويل ، ولكنها ترينا فى الوقت نفسه أثر العوامل الروحية التى تضىء

تأليف : ايفان ترجنيف
ترجمة : سليم الأسيوطى
مراجعة : مصطفى حبيب

الناشر : دار النهضة العربية ش ١٩

بقلم : رئيس التحرير



كوميض البروق فى ظلام الحياة ، وبرغم انتصار دوافع الاثرة وعوامل الشر فان ترجنيف بحزنه وسخريته يقوى عطفنا على القيم الروحية ويزيدنا حرصا عليها وتعلقا بها .

ويصف لنا ترجنيف نشأة لاڤرتسكى واحوال أسرته وعلاقة ابيه ايڤان بتروڤتش بجده أندريه بتروڤتش ، وغضب جده لزواج أبيه من مالانيا سيرجيڤيا والدة فيدور لاڤرتسكى ، وكان والد لاڤرتسكى من المتأثرين بآراء ڤولتير وديدورو وروسو وهالفتياس ، وكان تأثره بآراء هؤلاء المفكرين مما ساعد على توسيع شقة الخلاف بينه وبين أبيه الذى كان يمقتهم جميعا دون أن يقرأ كلمة واحدة من كتاباتهم شأن الشيوخ المتعصبين والآباء المستبدين وقد قضى ايڤان والد لاڤرتسكى شطرا كبيرا من حياته فى خارج روسيا ، ولما عاد الى روسيا من باريس حينما بلغه نعى أبيه كان مفتونا بالعادات الانجليزية ، وبرغم جنونة بكل ما هو انجليزى كان محبا لوطنه مخلصا له راغبا فى اصلاح أحواله .

ويصف ترجنيف فيدور لاڤرتسكى فى طفولته فيقول عنه « لم يكن بين القوم أحد يدعو فيديا طفلا لطيفا فقد كان أميل الى الشحوب وان كان بدينا ردىء البنيان ثقيلا فلاحا روسيا أصيلا ، وكان من الممكن أن يزول الشحوب عن وجهه اذا ما سمحوا له بالخروج فى الهواء الطلق النقى أكثر مما فعلوا ، وقد وعى دروسه جيدا على الرغم من أنه كان كسولا معظم وقته ، ولم يكن البكاء من شيمه ، ولكن كان يحدث أحيانا أن يظهر عنادا عنيفا ، وفى هذه الأوقات لم يستطع أحد أن يفعل شيئا من أجله ، فان فيديا لم يحب شخصا واحدا من الكثيرين الذين يحيطون به ، واحسرتا على ذلك القلب الذى لم يحب فى صباه » .

واتبع أبوه فى تنشئته الطريقة الاسبرطية قائلا « انى أريد قبل كل شىء وفوق كل اعتبار أن أجعل منه رجلا ، وليس رجلا فحسب بل رجلا من اسبرطة » ونفذ هذه الخطة ، وقد أفاد هذا النظام الفلام من الناحية الصحية ولكنه أربك ذهنه وشل عقله ، واضمحلت صحة أبيه وأصابه مرض عضال طال أمده وقضى عليه فى

النهاية ، وكان لافرتسكى حينذاك فى الثالثة والعشرين من عمره .

وذهب لافرتسكى الى موسكو بعد وفاة ابيه ، وادرك عيوب تربيته ، وعقد العزم على استدراكها ، وكان قد قرأ كثيرا فى السنوات الخمس الأخيرة وشهد الكثير بعينى رأسه ، وجالت بخاطره أفكار كثيرة ، ولكنه مع ذلك كان يجهل ما يعرفه لداته واترابه من احوال الحياة العادية وشئونها المألوفة ، ولم يكن يعرف كيف يتصرف مع مواطنيه ، وكان قلبه يتحرق شوقا الى الحب ، ولكنه كان فريسة للحياء الشديد ، فلم يجترىء على النظر الى وجه امرأة ، وكان ذلك كله نتيجة العزلة التى فرضها ابوه عليه وتلك النشأة الاسبرطية التى لم تكن ملائمة من اكثر نواحيها لأحوال عصره.

وحدث فى أثناء دراسته الجامعية انه كان جالسا ذات مساء فى المسرح ، فأبصر فتاة فى احدى مقصورات الطابق الأول ، وكانت كما يصفها لنا ترجنيف « ساكتة هادئة تتكىء على الحاجز المغطى بالقطيفة ، وكان ماء الحياة يترقرق فى محياها ويشرق على قسمات وجهها الجميل واحساس فنى يشع من عينيها البهيتين اللتين كانتا تتطلعان بنظرة ملؤها الحنان والاهتمام من تحت حاجبين مكحولين برقة كما شع هذا الاحساس الفنى فى ابتسام شفتيها المعبرتين وفى حركات رأسها وذراعيها وجيدها».

أحب لافرتسكى هذه الفتاة حبا عارما ، وفتن بها فتنة شديدة ، وعرف اسم الفتاة من احد اصدقائه ، وكان اسمها ڤارڤارا باڤلوڤنا كوروبين ، وكان معها فى المقصورة والدها ووالدتها ، وقال له صديقه الذى كان يعرف أسرة الفتاة حينما علم افتتانه بها « انها فلتة بين لداتها حباها الله النبوغ ، وهى فنانة بالمعنى الحقيقى للكلمة وبالاضافة الى ذلك فهى مخلوق ظريف يحب » ، ولم يستطع لافرتسكى مقاومة العاطفة التى استولت عليه وغالب حياءه حتى غلبه وصحب صديقه فى زيارة لآل كوروبين ، وتم زواجه بها .

ويصف ترجنيف والد الفتاة بقوله « كان والد ڤارڤارا باڤلوڤنا باڤل بتروڤتش كوروبين لواء متقاعدا ، قضى فى الخدمة العسكرية فى سانت بطرسبرج طوال سنى حياته تقريبا ، وفى باكورة شبابه كان يستمتع بالشهرة بانه راقص قدير ومدرب ماهر ، ولكنه لما كان فقيرا جدا فقد اضطر ان يعمل ياورا مع لوائين او ثلاثة نالوا حظا ضئيلا من الشهرة ، وزوجه احدهم ابنته ومعها بائنة بلغت خمسة وعشرين الف روبل ، وبعد ان ملك ناصية علم المراسم والاحتفالات فى ادق تفصيلاتها استمر فى توسيع نطاق عمله حتى بلغ النهاية ، فبعد خدمة عشرين عاما وصل الى رتبة اللواء على رأس فرقة عسكرية ، وحتى هذه المرحلة كان يمكنه التقاعد ويدعم حياته فى هدوء ، وهو فى الحقيقة ركن الى هذا الوضع ، ولكنه صرف شئونه بطريقة تخلو من الحنكة والحصافة الى حد ما ، ويبدو انه كشف طريقا جديدا فى النظر الى الأموال العامة، وقد بدت هذه الطريقة ممتازة ، ولكن لما كان تنقصه الدربة فان سلوكه فى شئون المال لم يكن سليما صحيحا ، ولذا فقد بثت العيون من



حوله تراقبه وتجمع المعلومات ضده ، وتلا ذلك ما هو اكثر من مكروه ، فقد وقعت فضيحة انتهت به الى الخراب والبوار ، وعلى اية حال من الأحوال فان اللواء نجح فى الافلات من مأزقه والخلاص من ورطته ، ولكن تقدمه فى عمله وقف عند هذا الحد ، فقد أوصى بالتقاعد من الجيش العامل ، وعاش ما يقرب من العامين فى سانت بطرسبرج آملا أن يهبط عليه من السماء مركز مريح انيق ولكن مثل هذا المركز لم يكن من نصيبه .. وبدأ باڤل بتروڤتش يرتاد الصالونات حيث تلتقى صفوة المجتمع المختارة فى موسكو ، وكان مظهره البدانة ، ولكنه لم يكن يخلو من الصفات العسكرية ، .. وادرك باڤل بتروڤتش كيف يحتفظ بكيانه فى المجتمع ،

وكان يتحدث قليلا ولكن دائما وكشأنه فى ماضيه كان يتحدث من خلال أنفه ، ما عدا طبعا عندما كان يتحدث الى من هم أرفع منه مقاما ، كان يقامر بحكمة واحتراس وكان يتوخى الاعتدال عندما يتناول طعامه فى بيته ، ولكن اذا دعى الى مأدبة كان يبدو أنه يتغذى لستة أشخاص ، أما زوجه فلا يمكن ان يقال عنها شيء أكثر من أن اسمها كاليوبا كارلوفنا وان دمعــة كان تترقرق فى عينها اليسرى ، وبفضل هذه الدمعة كانت تعتبر نفسها امرأة مشبوبة العاطفــة ، وكانت تنحدر من أصل ألمانى ، وكانت تبدو كأنها تخشى دائما حدوث شيء ما وكأنها لا تملك ما يمسك رمقها وترتدى دائما ثوبا ضـيقا من القطيفة وتغطى رأسها بقبعة وتزين ذراعهـــا بسوار من معدن رقيق » .

وهكذا وصف لنا ترجنيف الخلفية الاجتماعية التى نشــأ فيهـــا لاڤرتسكى والتى تكونت فيها أخلاق ڤارڤارا باڤلوڤنا ، ومن خلال هــذا الوصف تستبين لنا العوامل التى كونت أخلاق لاڤرتسكى وأثرت فى طبــاع ڤارڤارا باڤلوڤنا ، ولكن ترجنيف وهو يحدثنا عن ميولها الدنيوية ونزعاتها الحسية يشيد بجمالها الجسدى الفتان وفتنتها الصارخة .

ويصف ترجنيف لقاء لاڤرتسكى لزوجته بعد عودتها الفجائية بقوله « كان أول ما لفت نظره فى البهو رائحة الباتشولى ، وهى عطر كان يمقته أشد المقت ، كما لاحظ ان عددا كبيرا من حقائب الملابس الضـخمة والصناديق يقــوم هناك ، ولمح تعبيرا عجيبا على وجه الخادم الذى أقبل مسرعا للقائه ، ولم يتوقف لتحليل انطباعاته ولكنه ذهب مباشرة الى حجرة الاستقبال وكانت سيدة تجلس على الأريكة وترتدى ثوبا حريريا أسود ذا حواش يغطى وجهها الشاحب الى نصفه منديل من الكبريت (قماش من التيل الرفيع) نهضت تلك السيدة وسارت خطوات نحوه لتلقاه ، وحنت رأسها وقد سوت غدائر شعرها بعناية وطيبتها بالعطر ، ثم خرت ساجدة عند موطىء قدميه ، وحينئذ ولأول وهلة عرفها ، لقد كانت تلك السيدة زوجته ، فتوقف تنفسه واعتمد على الحائط ، فقالت بالفرنسية وقد مزق صوتها نياط قلبــه كما تمزق المدية « لا تقصنى عنك ياثيودور » فنظر اليها دون أن يدرك ما راى ، ومع ذلك فقد لاحظ فى الوقت نفسه وعلى الرغم منه أنها قد زادت شحوبا وبدانة عما كانت عليه من قبل ، واستمرت قائلة وهى ترفع عينيها من آن لآخر نحو السماء وأصابعها المتناهية فى الجمال ذات الأنامل التى صبغت أظافرها باللون الوردى تتلوى بآلام شديدة متعمدة « ياثيودور ! ثيودور أنا مذنبة أمامك مغرقة فى الذنب ، وأزيد على ذلك اننى مجرمة ، ولكنى أناشدك ان تسمع الى ما يجب ان أقول ، ان الندم يعذبنى ، لقــد أصبحت حياتى عبئا ثقيلا ينقض ظهرى ، ولم أعد قادرة على احتمال ما أنا فيه ، كم من مرة فكرت فى الكتــابة اليك ، ولكنى كنت أخشى غضبك ، وقد عقدت العزم على ان أقطع كل صلة لى بالماضى » وأضافت قائلة بالفرنسية وهى تمر يدها على جبينها وخدها « وزيادة على ذلك كنت مريضة جدا ، لقد اغتنمت فرصة انتشار خبر موتى فى الخارج وتركت كل شيء ودون أن أتوقف فى اى مكان ، سافرت آناء الليل وأطراف النهار لأجىء الى هنا سريعا ، ولقد ظللت وقتا طويلا فى شك مما اذا كنت سأظهر أمامك ، وأنت قاص ولكن عزمى قر فى النهاية على الذهاب اليك ، وذهنى لا يغيب عنه صلاحك الدائم الدائب ، وعثرت على عنوانك فى موسكو » واستمرت فى حديثها قائلة وهى تنهض فى هــدوء من الأرض وتجلس على حافة المقعد تماما « صدقنى » طالما فكرت فى الموت ، وكانت لدى الشجاعة الكافية لأحرم نفسى من الحياة .. آه .. ان الحياة حمل يبهظ كاهلى الآن ، ولكن التفكير فى طفلتى ، فى طفلتى الصغيرة آدا منعنى ، وهى الآن نائمة فى الحجرة المجاورة ، الطفلة المسكينة ، لقد أضناها التعب ، وستراها هلا فعلت ؟ هى على اية حــال من الاحوال هى بريئة أمامك وتعسة ، تعســة جدا ، وهكذا صاحت مدام لاڤرتسكى ثم انفجرت باكية » .

ويمضى ترجنيف فى تصوير هــذا الموقف الدرامى قائلا « استعاد لاڤرتسكى وعيه فى النهاية، ثم وقف بعيدا عن الحائط واتجه نحو البــاب ،

فصاحت زوجته قائلة بلهجة اليأس « أانت ذاهب ؟ آه ان ذلك لقاس ، وان من القسوة ان تذهب دون أن تقول كلمة واحدة لى ، ولو كلمة تأنيب ، أن هذا الاحتقار يقتلنى ، انه لرهيب » وتوقف لاڤرتسكى ، وقال لها فى صوت أجوف « ماذا تريدين منى ان أقول لك ؟ » فصاحت قائلة فى نشاط « لا شيء ، لا شيء — انى أعلم انه لا حق لى فى طلب شيء ، ولست بلهاء صدقنى ، انى لا آمل ، بل لا أجرؤ ان آمل فى الغفران ، ان كل ما أرجوك اياه هو أن ترشدنى الى ما يجب ان أعمله ، والى أين يجب على ان أعيش ، انى سأذعن لما تأمرنى به كما يذعن العبد مهما كان هذا الرأى الذى تأمر به » .

فأجابها لاڤرتسكى باللهجة نفسها التى كان يتحدث بها من قبل « ليس عندى ما آمرك به ، انك تعلمين أن كل ما كان بيننا قد انتهى ، والآن اكثر من كل وقت مضى ، ويمكنك الحياة حيث يحلو لك ، واذا كانت المنحة التى اجريتها عليك صغيرة بحيث » .

فقالت مقاطعة « آه ، لا تقل امثال هــذه الأشياء المرعبة ، اصفح عنى ، وليكن صفحك عنى من أجل هذا الملاك وحده » .

وبعد أن نطقت ڤارڤارا باڤلوڤنا بهذه الكلمات، اندفعت فجأة الى الحجرة الأخــرى وعادت فى الحال وفى ذراعيها بنية صغيرة فى ثياب حسنة الذوق ، وكانت خصلات شعرها الكستنائيــة تتدلى حول وجهها الوسيم الصغير المتورد ، وفوق عينيها الواسعتين السوداوين الناعستين، فطرفت فى الضوء وتعلقت بجيد امها بذراع ممتلئة صغيرة .

قالت ڤارڤارا باڤلوڤنا بالفرنسية وهى تزيح خصلات الشعر عن عينى الطفلة وتقبلها مشيرة « آه ، انظرى هذا هو ابوك ، توسلى اليه معى » .

بدأت الفتاة الصغيرة تقول فى لثغة بالفرنسية « أهذا هو أبى هناك ؟ » .

أجابتها امها بالفرنسية ايضا « اجل يا طفلتى ألا تحبينه ؟ » .

ولكن هذا اللقاء اصبح فوق ما يطيقــه او يحتمله لاڤرتسكى ، فتمتم قائلا « اية مأساة مشجية التى تحدث هنا ؟ ثم غادر الحجرة » .

ويرينا ترجنيف خلال هذا الموقف الفارق الكبير بين شخصية ڤارڤارا باڤلوڤنا التى تحسن اغتنام الفرص وتجيد تمثيل التظاهر بالتــوبة وادعاء الشعور بالندم وشخصية ليزا الوفيــة المخلصة الورعة الصالحة .

وفى وصف ترجنيف لشخصية بانش الذى كان يطمع فى الزواج بليزا قبل أن يعود لاڤرتسكى من فرنسا الى روسيا يجرى على طريقته فى بيان أحوال الأسرة التى نشأ فى احضانها فيقول عن ابيه « كان والد بانش وهو ضابط متقاعد من سلاح الفرسان اشــتهر بين لاعبى الورق من المغامرين ذا وجه مضن وعينين كليلتين وتقلصات عصبية حول شفتيه ، وظل طوال حياته يدور دائما فى دائرة من مشاهير القوم ويغشى المنتديات الانجليزية فى العاصمتين ، ولما كان يعتبر على العموم رجلا ذا كفاية ورفيقا ممتعا رغم انه ليس شخصا يمكن الاعتماد عليه فى ثقة ، وعلى الرغم من كفايته كان دائما على حافة هاوية الخراب ، وفى النهاية لم يترك بعده لابنه الوحيد سوى أملاك صغيرة غارقة فى الديون — أما فيما يتعلق بتربية هذا الابن فعلى اية حال من الاحوال وبطريقتــه الخاصة فقد كابد فيها متاعب جسيمة .. وقام بعدة اتصالات نافعة من اجل ولده ، وبينما هو يخلط اوراق اللعب بين قطعتين من المطــاط او بعد كأس مترعة سعيدة الحظ لم يكن ليضيع فرصة قط فى ان يقول كلمة صــغيرة عن .. « ڤولودكا انه شخصية هامة من عاشقى العاب المهارة » .

ويرينا ترجنيف ان بانش كان لابد له ان ينجح فى شق طريقه الى النجــاح فى الحيــاة الدنيوية ، فقد كانت براعته المصقولة وكياسته وسعة حيلته لا يضعفها اى لون من الوان الشعور بالاستقامة الفكرية ، ولا ينال من برود طبعه اى

تحمس للعطف على ذوى المواهب الذين لا يصادفهم التوفيق وتقسو عليهم الظروف ، فهو فى حياته الاجتماعية والحكومية من طراز الوصوليين ، وكان يتظاهر بالميل الى آراء الحريين الغربيين لأن ذلك الادعاء كان النغمة الغالبة فى تيار السياسة الصاعدة ، ولولا ذلك لأخفى آراءه ودان بالمذهب السياسى الذى يكفل له النجاح وتحقيق مطامعه ، وفى مدى عشر سنوات تغيرت سياسة الدولة ورات الحكومة القيصرية اتخاذ اجراءات رجعية شديدة ، فأخذ بانش فى التحول عن آرائه الحرة وتسويغ خطة الحكومة فى الحجر على الحريات ، ويزيدنا ترجنيف معرفة بحقيقة اخلاق بانش بحديثه عن الموسيقار الألمانى العبقرى العجوز الفقير ليم ، فهذا الرجل الفذ برغم عبقريته واخلاصه لفنه لم يستطع ان يظفر بالشهرة او ان ينال نصيبه من النجاح لأنه لم يحسن اغتنام الفرص وتصيد المناسبات ، فعاش فقيرا فى عزلة ، وكذلك فى تصويره لأخلاق ليزا يرينا الهاوية الواسعة بينها وبين بانش المتقدم لخطوبتها ، وترددت ليزا فى بادىء الأمر فى الاستجابة لتقربه منها لأنها كانت فتاة بريئة غير مجربة ، فلما جاء لافرتسكى من الخارج شعرت بالفارق بين شخصية الرجلين وبادلت لافرتسكى حبا بحب ورفضت قبول خطبة بانش .

وفى نهاية القصة تلوذ الفتاة المثالية ليزا بحمى الدير ويستسلم لافرتسكى لحكم القدر وهو حزين النفس لاخفاق سعيه وخيبة امله ، وفى الوقت نفسه تبدأ صداقة بين بانش وفارفارا باقلوفنا .

ويزور لافرتسكى دار آل كاليتين والد ليزا بعد مرور ثمانى سنوات على دخولها الدير ، فيرى أن كل شىء قد تغير فى الدار وصار ينسجم مع سكانها الجدد ، وظل لافرتسكى واقفا ببوابة الدار دون حراك بعض الوقت وهو يحملق بعينين فاحصتين ، وصعد الدرج ببطء ، « ولكن انفتح باب حجرة الاستقبال فجأة على مصراعيه وخرجت شورتشكا تعدو من الحجرة وقد اصطبغ لونها بحمرة الورد واندفع خلفها كل افراد العصبة الشابة يتصايحون بصيحات مجلجلة ، وفجأة وعند رؤية غريب مجهول توقفوا وخيم عليهم الصمت وتقدم شقيق ليزا وسأل الزائر ماذا عسى ان يفعله من اجله .

فقال الغريب « أنا لافرتسكى » .



وسر الشبان جميعهم لا لوصول احد الأقرباء البعيدين الذى كاد يطويه النسيان وانما لانهم كانوا مستعدين ليهللوا ويضحكوا لكل حدث، وسأل لافرتسكى عن بعض افراد الأسرة واصدقائها فعلم أن اكثرهم قد غاله الموت ، وسأل بجهد عن ليزا فعلم أنها كانت مريضة وانها ما زالت فى الدير نفسه ، ويصف لنا ترجنيف لافرتسكى حينما خرج الى الحديقة التى طالما جلس فيها مع ليزا فيقول « خرج لافرتسكى وذهب الى الحديقة وجلس على المقعد الطويل الذى عرفه جيد المعرفة وهناك فى تلك البقعة الحبيبة وعلى مرأى من ذلك المنزل الذى فيه على غير طائل وللمرة الأخيرة قد مد يديه الى كأس الأمل التى حفها حبب خمر الهناءة الذهبى المتلألىء ، انه وحيد جائل شريد لا يستقر له قرار ، وصيحات الجيل الجديد الشاب المرحة التى قد نسيته من زمن بعيد جاءت تتطاير الى اذنيه وحملقت فى أناة وثبات الى ماضى حياته ، واعتصر الأسى قلبه ولكنه قد تحرر الآن من كل احساس بالألم الماحق فلم يعد له ما يخجله، وتعددت بين يديه أسباب السلوى ، ففكر قائلا « استمرى فى فرحك ايتها الارواح الشابة العارمة ! » ولم يكن فى افكاره شائبة الحقد « ان المستقبل فى انتظاركم وطريقكم فى الحياة عبر ذلك المستقبل أيسر وأسهل نسبيا ، وسوف لا ترغمون كما ارغمنا على أن تتلمسوا طريقكم لتناضلوا وتسقطوا وتهبوا من سقطتكم فى ظلام مطبق ،

كان فرضا علينا أن نكد ونجرع الألم فى الكد بما لنا من وسائل وأن نثبت أمام الأعاصير حتى النهاية وما أكثر الذين لم يصمدوا بيننا ! ولكن دوركم فى الحياة هو العمل وسوف تكون بركات الشيوخ من أمثالى معكم .. » .

ويختم ترجنيف روايته بقوله « ترامت الأنباء أن لاڤرتسكى قد زار الدير النائى الذى اختفت فيه ليزا ورآها وبينما كانت تعبر من خورس الى آخر مرت على مقربة منه وسارت قدما فى ثبات وبخطوات الراهبة الصامتة السريعة ، ولم تلتفت اليه ، ولم ير سوى خلجة كادت لا تلحظ ، تحرك أهداب العين الظاهرة له وهى ما زالت تخفض وجهها الشاحب اكثر وأكثر واصابع يديها المعقودتين مزمومة فى سبحة صلاتها ، وما زالتا تضغطان بعضهما بعضا اكثر فأكثر ، ما الذى يراود فكر كل منهما ؟ واى احساس يستشعرانه؟ من يدرى ؟ من سيخبر ؟ ان للحياة لحظاتها ولها مشاعرها التى قد تبيح لأنفسنا الاشارة اليها ، ولكن ليس من الخير أن نتحدث عنها طويلا » .

وقد أجاد ترجنيف تصوير الشخصيات المختلفة فى روايته سواء فى ذلك الشخصيات الرئيسية والشخصيات الأقل اهمية ، كما وفق فى خلق الجو المناسب لحوادث الرواية ، وهو لا يضحى بحقيقة الحياة من اجل الفن ولا يفسد طبيعة الفن كذلك من اجل الحياة ، ويعمل على المحافظة على التوازن بينهما ، فهو الى جانب وصف ڤارڤارا يا ڤلوڤنا بفتور العاطفة والزيف والرياء لا يتردد فى الاشادة بمفاتنها الجسدية ، ولا ينكر عليها الذكاء الخلاب ، فهى تمثل المرأة الدينوية الطموح ، وكتابه « مذكرات صياد » الذى سجل فيه انطباعاته عن حياة الفلاحين الروسيين وعلاقتهم بالسادة الاقطاعيين بطريقة فنية خالصة خالية من أساليب الدعاية كان من اسباب الغاء نظام رقيق الأرض فى روسيا وقد قرأه القيصر الاسكندر الثانى قبل ارتقائه عرش القياصرة وتأثر به تأثرا شديدا وعقد العزم على الغاء نظام الرق متى اصبحت أزمة الامور بيده ، وترجنيف لا يسهب فى تحليل نفسية أبطاله وشخصياته على طريقة دستوفسكى ولكنه بلمسات سريعة من ريشته يصور فيها ملامح وجوههم ونظرات عيونهم واشارات حركاتهم وطريقتهم فى الحديث واتجاهات أفكارهم يكشف لك بواعثهم الداخلية وما يعتمل فى نفوسهم فتتمثل لك شخصيتهم واضحة فى مختلف ظلالها وقد كان ترجنيف نفسه من طبقة السادة الملاك الروسيين ولكنه فى الوقت نفسه كان فى طليعة الاحرار الروسيين ، وكثيرا ما يشير النقاد الى تأثر ترجنيف بالثقافة الغربية ولكن ترجنيف أثر كذلك فى الادب الاوربى والأدب الأمريكى ومن اشهر الكتاب الانجليز والأمريكيين الذين قدروا فنه وحاكوه فى طريقته جالزورثى فى انجلترا وهنرى جيمس وهاولز فى الولايات المتحدة ، وبرغم تأثر ترجنيف بثقافة الغرب ظل فى صميمه روسيا خالصا من فرعه الى قدمه .

وقد احسن الأستاذ سليم الأسيوطى باختياره نقل هذه الرواية الشائقة الى اللغة العربية ، ووفق فى النقل الى حد بعيد ، واستطاع أن يجمع بين الأمانة فى النقل وتحرى الدقة وحسن الأداء ، وقد اعتمد فى ترجمته على سدن راسلتون الذى قام بترجمة هذه الرواية من اللغة الروسية الى اللغة الانجليزية فى سنة ١٨٦٩ وكنت افضل أن يرجع الى ترجمة السيد كونستانس جارنت لأنها أحدث عهدا وقد قامت السيدة المذكورة فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر بنقل مؤلفات ترجنيف الروائية جميعها الى اللغة الانجليزية ، وظفرت ترجمتها بتقدير نقاد الأدب الانجليزى وأصبحت الترجمة التى يعتمد عليها ويرجع اليها ، ولم تخل ترجمة الأستاذ برغم ما بذل من جهد مشكور من بعض الهنات والأخطاء ففى صفحة ٩ « كانت أختا لأبيها » والأصح هنا أن يقول كانت عمتها فان العمة هى أخت الأب ، وفى صفحة ٢١ يقول «كان ذا وجه مضنى» والصواب حذف الياء واحلال التنوين محلها وفى صفحة ٢٣ يقول « لم يباه أبدا » واستعمال « ابدا » هنا من الاخطاء الشائعة والصحيح ان يقول « لم يباه قط » وقد تكرر هذا الخطأ كثيرا فى خلال الترجمة ، وفى

صفحة ٤٥ « كان فهما مريعا » والصحيح مروعا وفى صفحة ٤٢ « هل ستقيم بين ظهرانينا طويلا » والاستفهام بهل ينصب على المستقبل فلا داعى هنــا لدخول السين ، واذا كان المقصود الحاضر فيكون الاستفهام بالهمزة لا بهل وقد تكرر هذا الخطأ كثيرا فى صفحات الكتاب .

وفى صفحة ٤٩ خطأ فى فهم النص الانجليزى أدى الى خطأ فى الترجمة يوقع القارىء فى حيرة فهو يقول « فدفع بها الى قبرها فى النهاية وهى التى على الرغم منها كانت تشتبك معه فى عراك مستمر لم تستطع الصبر عليه طويلا حتى تبقى على قيد الحياة » والترجمة الصحيحة هى ان الشيء الذى لم يعمله هو انه لم يدفعها الى القبر، وكيف يكون قد دفعها الى القــبر وقد توفيت بعـــده ؟

وفى صفحة ٥٠ « ولو انه كان موتها » وقد ترجم الأستاذ سليم كلمة death فى الأصل بالمعنى الحرفى لها وهو الموت والمقصود هنا المضايقــة الشديدة لا الموت وهو معنى اصطلاحى فى اللغة الانجليزية فالصحيح ان يقول « ولو انه كان يضايقها أشد مضايقة » .

وفى الصفحة نفسها يقول « كانت زوجــة بطرس .. مخلوقا هادئا » ولماذا لم تكن « مخلوقة هادئة » ما دامت أنثى ؟ وليست صيغة «مخلوق» مما يتفق فيه المذكر والمؤنث .

وفى صفحة ٥٢ « انتقل فجــاة من مركز الوريث الفنى » والصحيح الوارث وقد نبه على هذا الخطأ اليازجى واسعد داغر والزعبــلاوى وغيرهم من علماء اللغة .

وفى صفحة ٥٣ « كان قاصرا عليهما » وقصر فعل متعد والصواب « كان مقصورا عليهما » .

ومن الخطأ فى الترجمة صفحة ٥٨ قوله « وضع حقا موضع التنفيــذ » وبالرجوع الى الأصل ينبغى أن تكون الترجمة الصحيحة « قد وضع حقا تعليماته موضع التنفيذ » .

وفى صفحة ٦٧ « باهتة لا لون لها » والصواب حائلة أو فاصلة .

وفى صفحة ٧١ « ويظنه أبلها » والصواب ابله لأنها ممنوعة من الصرف .

وفى صفحة ١١٢ « لا تنسى يافديا » وفديا مذكر فالصواب حذف الياء .

وفى صفحة ١١٣ « وحــدق فى الوديان » ووادى تجمع على أودية وأوداء .

وفى صفحة ١٢٥ « الحيــاة الهادئة التى تحوطه » وتحوطه معناها تحفظه والمقصود هنا حسب النص الانجليزى « تحيط به » .

وفى صفحة ١٣٣ « راق لها » والصــواب راقها لأن راق فعل متعد .

وفى الصفحة نفسها خطأ فى الترجمــة وهو قوله « وشكرا لوالــده » ترجمــة للاصطلاح الانجليزى thanks to ومعناها هنا « نتيجــة للطريقة التى اتبعها والده فى تربيته » واستعمال كلمة « الشكر » هنا من الأخطاء السيئة الدلالة .

وفى صفحة ١٤٠ آثر الأستاذ المترجم أن يستعمل لفظة « ولوع » فى مقابل كلمة dil-le-tante وقد جرت العادة باستعمال لفظة « هاو » .

وفى صفحة ١٧٧ « هــل قرات اوبرمام » والصواب « اوبرمان » وهى قصة قائمــة على مجموعة من الرسائل من تاليف سينانكور وهى من الآثار الادبية المشهورة فى ادب النزعــــة الرومانتيكية وقد اعجب بها الناقد الانجليزى المعروف ماثيوارنولد .

واكتفى بهذا القدر من الاخطاء وارجــو أن يفيد منها الأستاذ المترجم فى الطبعات القادمة ، ولا ينتقص هذا من تقديرى لجهده واعجــابى بترجمته .

على أدهم

لهذا أكره إسرائيل

تأليف أمين سامى الغمراوى



الناشر . دار النهضة العربية

٣٤٦ ص ١٧×٢٤ سم الثمن ٥٠ قرشا

كتاب يغرى بمطالعته من ألفه الى يائه . واضح الموضوع والأسلوب ، مهد له الأستاذ المؤرخ البريطانى ، آرنولد توينبى ، ويشتمل على ثلاثة ابواب ، يضم كل باب منها عدة فصول، عدد صفحاته ٣٤٨ . يشتمل الباب الأول على ثلاثة فصول : التوراة ، والتلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون . ويتناول الباب الثانى الحديث عن أهم المنظمات التى تقوم عليها الدعوة الاسرائيلية : الصهيونية ، والماسونية ، وجماعة « شهود يهوه » . ويضم الباب الثالث ، وهو أفسح ابواب الكتاب ، عدة احاديث وجهها المؤلف المقدم أمين سامى الغمراوى الى شعوب العالم اجمع للدفاع عن أوطانهم واعراضهم واموالهم وارواحهم واديانهم ... تحدث فيها الى الأمريكيين ، والسوفيتيين ، والفرنسيين ، والألمان ، والفلسطينيين أصحاب الحق . ثم تحدث الى المسيحيين والمسلمين ليستيقظوا ، وليقفوا صفاً واحدا متماسكا أمام « شعب الله المختار » !

ان مشكلة فلسطين هى دون شك قضية الانسانية . وفى ذلك يقول الأستاذ آرنولد توينبى فى كتابه المشهور « دراسة فى التاريخ » :

« أصبح العرب فى فلسطين هم الضحايا الأبرياء لحقد اليهود القديم على أوروبا .. وليس من شك فى أن الشعور الذى يدفع الانسان لأن يرتكب ضد جار له ضعيف ، نفس الجريمة التى ارتكبها ضده جار قوى ، لهو أحط شعور يمكن أن يصيب النفس الانسانية » .

« لقد اتضح للعالم بأسره ، أن تلك الأعمال التى ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين العرب — وهى لا تقارن الا بالجرائم التى ارتكبها النازى ضد اليهود — اشتملت على تقتيل النساء والأطفال والرجال فى دير ياسين فى ٩ ابريل ١٩٤٨ ، مما عجل بهروب عدد ضخم من السكان العرب من المناطق القريبة من القوات اليهودية المسلحة ، فضلا عن تعمد القوات اليهودية طردهم من الأماكن المحتلة فى عكا واللد والرملة وبير سبع والجليل فى اكتوبر ١٩٤٨ » .

وفى هذا الكتاب يتعقب المؤلف حياة اليهود، منذ بدا تاريخ فلسطين المعروف ، حينما نزحت قبيلة كنعان من جزيرة العرب لاستيطان فلسطين .. ثم كانت هجرتهم الثانية من العراق بقيادة النبى ابراهيم ، « وعبروا » نهر العراق، فأطلق عليهم اسم « العبرانيين » وكان ذلك فى عام ٢٠٠٠ ق.م. وفى عهد يعقوب ، حينما حلت بهم المجاعة ، دعاهم ابنه يوسف الى مصر ليعيشوا بها ولينعموا بخيرات أرضها ... فجاءوا ولكنهم لم يحاولوا التعايش مع أهل البلاد ، وبالرغم عما بدا من ترحيب فرعون بهم

... وبارك يعقوب فرعون .. ثم خـرج من لدنه ، فاسكن يوسف اباه واخوته .. واعطاهم ملكا فى ارض مصر فى افضل الارض ، فى ارض رعمسيس ، كما امر فرعون ، وعال يوسف اباه، واخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الاولاد ... وهكذا استقبلهم شعب مصر وفرعونها .

فماذا قدموا لمصر ، عرفانا بهذا الجميل ؟

اننا لنجد الجواب على هذا السؤال فى آيات شتى من القرآن الكريم . ففى سورة البقـرة يقول الله عز وجل :

« واذ نجيناكم من آل فرعون يسـومونكم سوء العذاب ، يذبحون ابنـاءكم ويستحيون نسـاءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم . واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون . واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعـده وانتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشـكرون . واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسـكم باتخاذكم العجـل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم . واذ قلتم ياموسى لن نؤمن

ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون . واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصـاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل اناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومهـا وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هـو ادنى بالذى هو خير ، اهبطـوا مصرا فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

(صدق الله العظيم)

تلك هى اخلاق اليهود ، كما نص عليهـا القرآن الكريم .

●

وتاريخ اليهود بعد خروجهم من مصر الى دخولهم فلسطين مرة ثانية ، ثم انقسـامهم الى مملكتى اسرائيل ويهوذا ، سلسلة متلاحقـة من الغدر والمؤامرة والفسـاد .. هى .. هى على نمط



لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . ثم بعثنـاكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكـم المن والسـلوى كلوا من طيبـات مارزقنـاكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسـهم يظلمون . واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفـر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ، فانزلنا على الذين

واحد .. تلك هى جبلتهم التى طبعوا بها .. واول من يشهد عليهم ، قضاتهم وانبياؤهم ... كأن لهم مخططات يسيرون عليها ويلزمون انفسهم بها ! وقد فشلوا للعيش فى كل مجتمع وجدوا انفسهم فيه ـ حتى اليوم ، لانهم يحلمون باقامة امبراطورية فسـيحة ولو اقاموها على الطمع والحرق والسلب والنهب ... ولذلك كرهتهم الشعوب .. تلك الشعوب التى اصيبت بهم . حتى سكان الصحارى لم ينجوا من اذى اليهود

وصلفهم . حدثنا العلامة الأفريقى احمد بابا التمبكتى (١٥٥٦ - ١٦٢٧) فى كتابه « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » (طبعة القاهرة) ، عما وقع للفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلى (توفى ١٥٠٤) مع يهودها ، وكان قد فر معظمهم من الأندلس بعد خروج العرب منها واستقروا بها مع المسلمين . لقد امعنوا فى غطرستهم وعملوا على احتكار التجارة وحرمان اصحابها من وسائل الرزق الضئيلة ، ولما خابت مساعى هذا الفقيه الجليل وعلماء توات معهم ، قام عليهم والزمهم الذل ، بل انه اضطر الى قتالهم وهدم كنائسهم ، ثم قال لأتباعه : « من قتل يهوديا فله على سبع مثاقيل » . وبالرغم من ذلك ، فقد تمسكوا بجبلتهم ، وراحوا ينقمون ، وقتلوا ولد المغيلى ، فانزعج الشيخ لفقده ابنه وحزن عليه ثم ادركته المنية .

●

يبحث المؤلف فى منابع الدين والحياة عند اليهود ، واقدمها التوراة اى الثورات وهى السفر « المقدس » . وتتناول سير بنى اسرائيل من بدء الخليقة الى آدم ونوح .. فابراهيم الى يعقوب ويوسف وموسى ، الى أن اقام هؤلاء دولتهم الأولى على انقاض الممالك التى انتزعوها ، ثم قيام دولتهم الثانية التى ابيدت هى الأخرى . وهذه التوراة قد الفها بنو اسرائيل ، وادخلوا عليها كما غيروا وبدلوا كما شاءوا على النحو الذى يريدون .. وقد جاء القرآن بآيات كثيرة تؤيد فعلتهم . ففى سورة آل عمران ، الجزء الثالث :

« وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب - وما هو من الكتاب - .

ويقولون هو من عند الله - وما هو من عند الله - ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . » .

والمنبع الثانى ، هو التلمود وفيها يتكشف لنا مكر اليهود وأخلاقهم وخططهم . والتلمود باللغة العبرية معناها تعليم ، فهو اذن كتاب تعاليم ديانة وآداب اسرائيل . قام بوضعه حكماء اليهود بعد تدمير هيكل سليمان على يد الكلدانيين وسبى بنى اسرائيل الى بابل . ولكى يأخذ التلمود مكانه من التقديس والاحترام ادعوا انه سنة عن النبى موسى . والتلمود المتداول اليوم بين الاسرائيليين هو تلمود بابل ، وليس تلمود اورشليم الذى كان موجودا فى فلسطين سنة ٢٣٠ م . وقد حذف المجمع الدينى الاسرائيلى عام ١٦٣١ منه بعض الألفاظ المستهجنة الموجهة الى السيد المسيح او الى السيدة مريم او الى بعض الرسل ... وترك مكانها فراغا او رسمت دائرة بدلها !

ويتمسك الصهيونيون بما جاء بالتلمود ويتخذونه دستورا ومخططا لهم ، وجاء فيه بالنص :

« يجب على كل اسرائيلى ان يبذل جهده لمنع تملك باقى الأمم فى الأرض حتى تبقى السلطة لاسرائيل ، لانه يجب ان تكون لهم السلطة أينما حلوا ، فاذا لم يتيسر لهم ذلك اعتبروا منفيين وأسرى » . ويزعم التلمود أن الفرق بين درجة الانسان والحيوان ... هو بقدر الفرق بين اسرائيل وباقى الشعوب ... ويعتبر التلمود الأجانب او غير الاسرائيليين كالكلاب ! وطبقا للتلمود ، يعتبر الاسرائيلى مساويا للعزة الالهية ، فان الدنيا بما فيها تصبح ملكا لاسرائيل ولها حق التسلط عليها !

ومن وصايا التلمود : « اذا جاء أجنبى واسرائيلى امامك بدعوى ... فاذا امكنك ان تجعل الاسرائيلى رابحا فافعل ... وقل للاجنبى ... هكذا تقضى شريعتنا » . ولا يقف التلمود عند حد اباحة الظلم والغش ، بل انه يقول بصراحة : «اقتل الصالحين من غير الاسرائيليين» ، ومحرم على الاسرائيلى ان ينجى احدا من باقى الأمم من هلاك ... او يخرجه من حفرة يقع فيها ، لانه بذلك يكون قد حفظ حياة أحد الوثنيين ! » وهكذا نرى اليهود ، عبر تاريخهم ، قد أسرفوا من المذابح التلمودية فى كل عهودهم ، حتى مذبحة دير ياسين (٩ مارس ١٩٤٨) ، واغتيال الكونت برنادوت الوسيط الدولى

(١٧ سبتمبر ١٩٤٨) ، وجرائم الابادة التى اقترفوها فى قطاع غزة (١٩٥٦) .

●

فاذا انتقلنا الى مخطط الاسرائيليين الحديث « بروتوكولات حكماء صهيون » لهالنا ما احتوت عليه .. فهى فى الواقع برنامج استراتيجى لاخضاع العالم بأسره لاسرائيل ! وقد وضع هذه البروتوكولات زعماء اليهودية ، وقدمها تيودور هيرتزل الى مجلس القدماء عند انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول الذى دعا الى عقده فى « بال » بسويسرا فى أغسطس ١٨٩٧ ... وقد كان من نتيجة نشر هذه البروتوكولات وتسربها بعد ذلك فى المانيا وانجلترا وأمريكا أن قامت ضجة كبيرة فى الدول ، بل وفى معسكر الصهيونيين . فلم يكن من اليهود ، الا أن أنكروها وادعوا أنها مزيفة ودست عليهم ، وحاولوا القضاء على هذه الضجة باتلاف ما يطبع من نسخ البروتوكولات ولكنهم لم يفلحوا ... حتى بعد مؤامرات دبروها ضد دور النشر . ولا يخفى على القارىء ان آخر طبعة لهذه البروتوكولات باللغة العربية صدرت ضمن « سلسلة كتب سياسية » بالقاهرة فى ١٣ ابريل سنة ١٩٥٧ .

فما الذى تتضمنه هذه البروتوكولات الخطيرة :

١ ـ تسعى الى زعزعة كل مقومات المجتمع المعاصر ونظمه لتمكين الصهيونية من الاستئثار بحكم العالم وثمراته ، فالعالم لم يخلق الا ليكون اليهود سادته وأوصياءه ، ومن حقهم وحدهم استعباده وتسخيره ، وليس لغيرهم من الأمم الا السمع والطاعة ، واحتمال الهوان ، والرضا والقناعة بما يجود به اليهود عليهم من فضلات الرزق .

٢ ـ الهدف لتنفيذ سيادة الصهيونية ، هو اقامة مملكة يهودية استبدادية تحكم العالم كله . يكون مقرها أورشليم أولا ، ثم تستقر فى روما الى الأبد ويتعاقب على عرشها حكام من ذرية ملكهم داود .

٣ ـ ولتيسير قيام هذه المملكة اليهودية العالمية ، يجب :

(ا) القضاء على القوميات والأديان والأمم المسيحية بصفة خاصة ، فالقضاء عليها يتيح الفرصة للقضاء على بقية الأمم والأديان حيث لايبقى بعدها الا الديانة والقومية اليهودية .

(ب) العمل على زيادة فساد أنظمة الحكم الحاضرة التى تؤمن الصهيونية بفسادها وانهيارها جميعا .

٤ ـ يجب أن تعامل الأمم جميعا ـ باستثناء اليهود ـ بالعنف .. وتساس كما تساس قطعان البهائم ، وأن يصبح زعماؤها كقطع الشطرنج فى أيدى الصهيونيين ، يستميلونهم ويغرونهم بالارهاب أو الرشوة أو النساء أو المناصب ..

٥ ـ ينبغى للصهيونية أن تسيطر على كل وسائل النشر والدعاية والصحف ، واستخدام الذهب لاثارة الفوضى ، واغراء الناس بالشهوات واشاعة الخلاعة والانحلال والقضاء على الأخلاق والأديان والقوميات وروابط الأسرة وسائر القيم الانسانية .

٦ ـ يتشتت اليهود ـ شعب الله المختار ـ فى أقطار العالم ، وقد يبدو أن هذا التشتت مصدر ضعفهم ، ولكنه فى الواقع مصدر قوة لهم .. فيه يتمكنون من التسلل الى كيان الدول لتسخيرها جميعا لمصلحتهم .

هذا هو موجز البروتوكولات التى تقع فى ٢٤ بروتوكولا (محضر جلسة) وكان الفضل فى نشرها كاملة للكاتب الروسى سيرجى نيلوس عام ١٩٠٥ ، وفى مكتبة المتحف البريطانى نسخة منها تحت رقم 3926-D 17

ويستطيع القارىء أن يتمعن هذا البرنامج الكبير الذى يسعى بنو اسرائيل الى تحقيقه بشتى الأساليب بين دول العالم وفى المؤتمرات العالمية وفى التسلط على معظم أجهزة الأعلام فى العالم ...

ويشرح المؤلف فى كتابه المفيد ـ مذهب الصهيونية ـ (نسبة الى صهيون وهو جبل يقع شرق القدس القديمة وله مكانةمقدسةعند اليهود كجبل الطور) . وهذا المذهب فى الواقع امتداد فكرى للتلمود ولا سيما فى الناحية السياسية . وقد انبثقت الصهيونية من احدى جمعيات صهيون التىاستقرتبالنمسا ، وجماعة«شيبات زيون» (محبة صهيون) .

وجمعية صهيون كانت تمثل الصهيونية الأوروبية الغربية ، وقد تزعمها « تيودور هرتزل » الصحفى النمساوى اليهودى (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) . وكان أقوى شخصية ، يهودية ذات أثر فى القرن ١٩ . ويعتبره اليهود رابع أربعة : موسى ، سليمان ، زروبابل ، ثم هرتزل .

اما جماعة « شيبات زيون » فكانت تمثل الصهيونية الشرقية التى كان يتزعمها « حاييم وايزمان » الروسى الأصل وقد أصبح فيما بعد أول رئيس لتلك الدولة المزعومة فى عام ١٩٤٨ .

وسوف لا نطيل الكلام عن المراحل التاريخية التى مرت بها الدعوة الصهيونية منذ عام ١٨٩٧، ولكننا نقف لحظة عند واجبها الأول ، وهو « توطيد دعائم دولة اسرائيل وتقويتها » ، مرتكزة على الأسس التالية :

١ ـ الروابط التاريخية والدينية القديمة التى تربطهم بفلسطين باعتبارها أرض الميعاد .

٢ ـ ان اليهود فى أنحاء العالم يمثلون شعبا واحدا ينتمى الى اصل واحد ، وان هذا الأصل مرجعه الى أرض فلسطين ، ومن ثم يعتبر يهود العالم جميعا اعضاء فى الجنسية الاسرائيلية .

٣ ـ أن فلسطين قلب العالم وما حولها من ارض تمتد من نهر مصر الى نهر الفرات هى دولتهم المنشودة .

٤ ـ أن الرب قد تعهد لابراهيم بأن يرقى بذريته فى النهاية الى السيادة على العالم ، فهم شعبه المختار .

بيد اننا اذا حللنا هذه الأسس ، لوجدناها اسبابا مصطنعة ، لا تتفق مع التاريخ اولا ، ولا يمليها سوى الجشع والتعالى ، وايمانهم بالتفرقة العنصرية التى ادانتها جميع شعوب العالم ، فضلا عن الأديان التى يؤمن بها ملايين البشر .

●

وقد عنى المؤلف بشرح واف للماسونية ربيبة الصهيونية ، واغراض جماعة شهود يهوه، وهما جماعتان تستهدفان خطط البروتوكولات بأساليب سرية او علنية ، برغم ان هذه الأخيرة تخفى نفسها تحت أستار المسيحية ، فما«يهوه» الا اله اسرائيل ، وقع فى شباكها كثير من الأبرياء حتى اتضحت لهم أهدافها اللعينة . ولذلك اهاب المؤلف بشعوب العالم ليدافعوا عن أوطانهم واغراضهم وأرواحهم وأموالهم وأديانهم قبل فوات الأوان . فان المعركة ضد بنى اسرائيل معركة عنيدة تستنفد جهودا مضنية وعقولا مفكرة ، ومثابرة دائمة ليضمنوا النصر ويحققوا الفوز الحاسم .

ونلاحظ أنه بالرغم عن انفضاح أمر اليهود وكشفنواياهم ، فانهم لم يرتدعوا ، بل استمروا فى تنفيذ مخططاتهم بأموال أصدقائهم فى الدول الكبرى ، وبتشجيع سافر من ساستهم . فهم يتمتعون بنفوذ ضخم فى المنتديات السياسية الغربية وفى الصحافة وميادين الاعلام، وسيطروا على الثروات الأمريكية . ولقد حذر « بنيامين فرانكلين » ـ أحد أبطال الاستقلال الأمريكى ـ مواطنيه سنة ١٧٨٩ من الخطر الاسرائيلى فى خطاب القاه فى معهد فرانكلين بفيلادلفيا ، بيد انه لم يفطن احد لما قاله ، وكأنه قد نفخ فى رماد. فبرزت فى البلاد « اللجنة اليهودية الأمريكية » لتخطيط سياسة الولايات المتحدة من قبل هيئة فى واشنطن ، ومراقبة التفكير لدى الشعب الأمريكى ، ولهذه اللجنة ١١ ميدانا تعمل فيه : الكنائس المسيحية ، التعليم ، منظمات المحاربين القدماء ، الصحافة ، نشر الكتب ، السينما ، الاذاعة والتليفزيون ، العمال والحكومة ...

وهناك أيضا المجلس اليهودى الأمريكى، ومجلس يهود العالم ، المجلس الوطنى لرفاهية اليهود وغير ذلك كثير من المنظمات التى تدعو للصهيونية دون خجل ! متناسية وضع اللاجئين من العرب أصحاب فلسطين .

افلا نكره اليهود بعد كل ذلك ؟

ويوضح لنا المؤلف فى كتابه المفيد ، كيف يسيطر اليهود على الاتحادات الاحتكارية الهامة فى فرنسا ، ومن أهمها :

اتحاد المصارف والذهب ، اتحاد الأغذية والنبيذ والمعلبات ، اتحاد الفراء والجلود ، اتحاد البترول ومنتجاته ، اتحاد الأثاث والفراش ، اتحاد صناعات الأغذية ، اتحاد صناعة الأقمشة، اتحاد النقل الجوى والبحرى والنهرى ، اتحاد الكهرباء والغاز ، اتحاد صناعات الأدوية ، اتحاد الوكالات التلغرافية ، اتحاد التسليح ، اتحاد استيراد القمح من الخارج ، اتحاد الصحف ، اتحاد النشر ، اتحاد المسارح ، اتحاد السينما ، اتحاد صناعة المجوهرات والحلى والساعات ، اتحاد محطات الاذاعة ، اتحاد النحت واللوحات والفنون ، اتحاد الملاهى والمقاهى ، اتحاد ورق الصحف ، اتحاد الصناعات الثقيلة ، اتحاد الاعلانات ... الخ وهكذا يجد المواطن الفرنسى نفسه أسير الاحتكارات الصهيونية المتسلطة على وطنه الكبير ! حتى مجلس الدولة ، وديوان المحاسبة ودار الكتب الأهلية والمجمع الفرنسى ... فان شعب اسرائيل خرب فرنسا كالدود.. والجراد !

اما اليهود وما صنعوه فى المانيا فأمر معروف .. وهنا ينبغى أن لا نخلط بين النازية كمذهب سياسى وبين تغلغل اليهود فى كل مجال المانى .. لم يتركوا شيئا للألمان فى الصناعة والتجارة والثقافة والمسرح والصحافة والسياسة ... وكان ماكان من أمر هتلر واليهود فى البلاد الناطقة بالألمانية .

واستطاع بنو اسرائيل فى أثناء الحرب العالمية الثانية ان ينتهزوا الفرصة الذهبية التى كانوا يأملونها منذ طردهم من الأندلس . وتمكنوا من الافادة الى أقصى حد من تصريح (وعد) بلفور فى عام ١٩١٧ .. فيسر لهم الانجليز الاستيلاء على قلب العروبة وموطن الأديان المقدسة ـ فلسطين . فاستولت العصابات المسلحة الاسرائيلية على فلسطين ، وطردوا ابناءها العزل من السلاح شر طردة ... وحرموهم من أرضهم العزيزة ومن دورهم وانتزعوا منهم جميع حقوقهم ، بل انهم اليوم يسرقون مياههم ويعتدون على ما تبقى للعرب فى وطنهم ـ وطن الآباء والأجداد ... ان اليهود قد ارتكبوا بفعلتهم الشنيعة أفظع جريمة فى القرن العشرين ..

افلا نكرههم ونكرههم بعد ذلك ؟ كما كرههم المؤلف وكرههم ملايين العرب . فشكرا للمؤلف الكريم على مؤلفه الواعى . فان كتابه عدة كتب فى كتاب واحد .

●

وان خير ما نختم به هذه الكلمة ، تلك العبارة الواضحة التى ضمنها خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى رسالته الى المرحوم الرئيس جون ف . كنيدى . قال :

... « ان موضوع قضية فلسطين لا يحتاج الى تعبئة نفسية ، فان امتنا كلها تعيش المشكلة، حقيقة واقعة ، وليس عقدة عاطفية ، وأؤكد لك ـ بشرف ـ ان ما يحكم موقفى ونظرتى الى قضية فلسطين ، ليس هو كونى رئيسا للجمهورية العربية ، وانما الأصل والأساس هنا ، هو موقفى ونظرتى ، كوطنى عربى ، وكواحد من ملايين الوطنيين العرب » .

د . عبدالرحمن زكى

أبو حيّان

تأليف الدكتور زكريا إبراهيم

هذا خامس كتاب يظهر فى المكتبة العربية عن ابى حيان التوحيدى منذ خمسة عشر عاما . ولم يسبق فيما نعلم من التراث العربى المخطوط ان ظهر كتاب قائم بذاته عن هذا الفليسوف الأديب الصوفى الذى يعد من قمم البيان العربى المشرق المتألق فى القرن الرابع الهجرى . حتى لقد ذهب بعض الباحثين الى الموازنة بينه وبين الجاحظ ، لا فى البيان فحسب ، ولكن فى اتساع محيط الثقافة ، والتعمق فى الدراسة والنظرة الموسوعية الشاملة ، والتحليل الدقيق للأفكار ، وكثرة الاستطراد ، وزاد على الجاحظ تلك النزعة الفلسفية التى جعلت بعض الباحثين ينعتونه بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء .

والأربعة الذين سبقوا الدكتور زكريا ابراهيم الى الدراسة المستقلة عن ابى حيان هم الدكاترة : عبد الرزاق محى الدين ، الذى ظهر كتابه سنة ١٩٤٩ ، واحسان عباس ، وابراهيم الكيلانى ، واحمد محمد الحوفى .

والحق اننا هنا امام رجل اغفل زمانا ، وجر النسيان عليه مساحبه ، بل حكم عليه بعضهم بالزندقة ، حتى جعلوه واحدا من زنادقة الاسلام الثلاثة : ابن الراوندى ، وأبى حيان التوحيدى ، وأبى العلاء المعرى .

ومن أجل هذه التهمة الخطيرة لم يأخذ الرجل مكانه الحق فى تاريخ الفكر الاسلامى ، فتورع المؤرخون ان يكتبوا عنه ، وتحرج كتاب الطبقات ان يترجموا له ، الا ما كان من الفصل الطويل الذى كتبه عنه ياقوت الرومى فى «معجمه» ، والا ما تناثر عنه عند ابن خلكان ، والذهبى ، وابن أبى الحديد ، والسبكى ، والخوانسارى فى « روضات الجنات » . على ان المؤرخ الامام ابن الجوزى صاحب كتاب « المنتظم » لم يترجم له فى الوفيات التى رتبها على وفق السنين ، بل اكتفى بأن ذكره فى أثناء الترجمة لأبى العلاء المعرى فى وفيات سنة ٤٤٩ هـ . فلما بلغ الى الحديث عن زندقة أبى العلاء ساقه ذلك الى الحديث عن زندقة زميليه المتهمين معه : التوحيدى وابن الراوندى فقال : (وهذا ابن الريوندى ـ يقصد الراوندى ـ وابو حيان ، مافيهم الا من قد انكشف من كلامه سقم فى دينه ، يكثر التحميد والتقديس ، ويدس فى أثناء ذلك المحن) . على أن قضية الزندقة عند أبى حيان سنعرض لها عما قليل ...

وقد ابتدأ الاهتمام بأبى حيان والاتجاه اليه ونشر بعض مؤلفاته فى أواخر القرن الماضى حينما طبع فى الآستانة كتابه : « الصداقة والصديق » ، وفى شيراز كتابه : «المقابسات» . ثم جاء المرحوم الأستاذ حسن السندوبى فأعاد طبع المقابسات فى مصر سنة ١٩٢٩ . وسكت الناس بعد ظهور المقابسات عن أبى حيان التوحيدى عشر سنوات كاملة ، الى ان جاء المرحومان احمد امين واحمد الزين فحققا كتاب « الامتاع والمؤانسة » سنة ١٩٣٩ ، وكتبا له مقدمة جيدة وافية كانت بداية الاهتمام بسيرة أبى حيان . ومنذ ذلك الحين اخذت كتب التوحيدى تظهر مع العناية بتحقيقها وتحليلها والتقديم لها ، فظهرت « الاشارات الالهية » بتحقيق عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٥٠ ، و « الهوامل والشوامل » سنة ١٩٥١ بتحقيق احمد امين والسيد صقر ، و « ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى » سنة ١٩٥١ بتحقيق ابراهيم الكيلانى ، و « البصائر والذخائر » سنة ١٩٥٣ بتحقيق أحمد امين والسيد احمد

التوحيدى

نصر

الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة
٣٠٦ ص ١٤×٢٠ ث ٥ قروش

صقر ، و « مثالب الوزيرين » بتحقيق ابراهيم الكيلانى سنة ١٩٦١ ، واخيرا ظهر كتاب « الصداقة والصديق » بتحقيق ابراهيم الكيلانى ايضا .

واذا كان المرحوم حسن السندوبى من السابقين الى تقديم ابى حيان التوحيدى فى المكتبة العربية والى تعريف العرب به فى القرن العشرين ، فان فضل الدكتور زكى مبارك لا يجوز اغفاله هنا ، فبعد ظهور « المقابسات » بتحقيق السندوبى بخمسة اعوام كاملة اخرج زكى مبارك سنة ١٩٣٤ كتابه « النثر الفنى فى القرن الرابع » واشار فيه الى ابى حيان اشارات ذكية واعية ، فابتدأ الناس هنا وفى الشرق العربى يتنبهون الى هذا الرجل الذى كان مغمورا قرابة الف عام ، ثم جاء المرحوم محمد كرد على فاخرج كتابه « أمراء البيان » سنة ١٩٣٧ وفيه اكثر من خمسين صفحة عن ابى حيان وترسله ومنهجه فى الكتابة وسيرته ، وقد عده كردعلى من اعاظم المنشئين والمؤلفين ، وعد كتابته بهذه المقدرة العجيبة والصناعة البارعة دليلا على طول باع اللغة العربية واتساعها لمثل الأغراض التى كتب فيها أبو حيان .

والحق ان اهتمام زكى مبارك ومحمد كردعلى باسلوب التوحيدى وفنه الكتابى ، واظهار زكى مبارك لطريقة الازدواج والسجع بعض الحين عند ابى حيان ، كان له اثره فى لفت الانظار الى كاتب يعد نثره من ابلغ النماذج فى اللغة العربية ومن اروع آيات البيان .

على ان الفضل فى الكشف عن بلاغة التوحيدى وبيانه الرائع لا يعود الى عربى مثل مايعود الى مستشرق اجنبى هو « آدم ميتز » صاحب كتاب « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » ، فقد تنبه الى بيان التوحيدى قبل الباحثين من العرب المحدثين ، مما جعل الدكتور عبد الرزاق محى الدين يعجب اشد العجب (ان يلتفت الى دقائق الأسلوب العربى رجل ليس من أهله ، فينتهى الى حكم غفل الباحثون من قبله عن الاهتداء له) .

هذا موجز لقصة الاهتمام بأبى حيان التوحيدى فى عصرنا هذا ، على أن فضل تخصيص دراسة مستقلة فى كتاب عربى عن أبى حيان يعود الى الدكتور عبد الرزاق محى الدين ، الذى كان اول رائد فى هذا الميدان، فقد ظهر كتابه : « أبو حيان التوحيدى : سيرته وآثاره » سنة ١٩٤٩ ، وكان كتابه هذا فى الأصل رسالة لدرجة الماجستير نوقشت فى جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨ .

وما اختلف الناس على رجل قدر اختلافهم على أبى حيان التوحيدى ، فقد حير الأوائل والاواخر فى الحكم عليه والكشف عن حقيقته . حيرهم فى تاريخ مولده ؛ فزكى مبارك يقول : لا تسألنى متى ولد ولا أين ولد . وحسن السندوبى يستظهر انه ولد سنة ٣١٢ هـ ، وعبد الرزاق محى الدين يجعل عام ميلاده لا يخرج عن حدود سنة ٣١٠ هـ الى ٣٢٠ هـ ، وابراهيم الكيلانى يجعل مولده سنة ٣١٠ هـ ، واحمد الحوفى يقر بالعجز عن معرفة مولده !! وزكريا ابراهيم يخرج بالصمت عن لا ، ونعم !!

وحير أبو حيان الناس فى تاريخ وفاته . فالخوانسارى يذكر انه رأى فى بعض تواريخ شيراز المعتبرة انه توفى سنة ٣٦٠هـ.والسيوطى



يذكر فى بغية الدعاة انه توفى سنة ٣٨٠ هـ فى موضع من كتابه ، وفى موضع آخر يذكر انه توفى سنة ٤٠٠ هـ تقريبا ، وابن الجوزى يهمله فى وفيات السنين فى تاريخه المشهور : «المنتظم» ، وأبو القاسم الجنيد الشيرازى يذكر انه توفى سنة ٤١٤ . ورجح الدكتور عبد الرزاق محى الدين هذه الرواية (لأنها وردت فى كتب قديمة وبأقلام شيرازية ، وأثرت عن شخص معاصر مزامل عرف بالتقوى والصلاح) . ومال الدكتور الحوفى الى ترجيح هذه الرواية ، فوافق بذلك عبد الرزاق محى الدين ، كما وافق محققى كتاب « الهوامل والشوامل » .

وحير ابو حيان الناس فى جنسه واصله ، اهو فارسى أم عربى ؟ فذكر الدكتور زكى مبارك انه كان فارسى الأصل ، واكد حسن السندوبى انه فارسى الأصل ، وذهب محمد كردعلى الى انه عربى ، وما كان يعرف الفارسية ، ولو ولد فى فارس لكان يتكلم بها ، أما الدكتور عبدالرزاق محى الدين فقد ناقش المسألة مناقشة طويلة واعية ختمها بقوله : (ولقد كان بودى ان يكون ابو حيان فارسيا يمتدح العرب ، لأستدل به على فضل قومى ، وانصاف صاحبى ، ولكن انى لى بهذا ، وليس فى القرائن مايدل على فارسيته؟! . وذهب الدكتور الحوفى مذهب الدكتورعبدالرزاق محى الدين ، بل سلك مسلكه فى مناقشة القضية ، واتخذ سبيله ، حتى لنستطيع بحق ان نقول ان الدكتور محى الدين هو فارس الحلبة فى هذه المسألة .. اما الدكتور زكريا ابراهيم ــ وهو احدث من كتب عن ابى حيان ــ فلم يخرج عن السبيل التى مهدها قبله الماهدون ، فأفاد من الأدلة التى ساقها كل من قال بعروبة التوحيدى ، وان كان فى النهاية جعله رجلا (لا يهتم فى كثير او قليل بأصل الانسان أو جنسه أو عنصره ، بل هو يحفل بعلمه ودينه وخلقه . وليكن ابو حيان بعد ذلك فارسيا ، أو فليكن عربيا ، فانه فى كلتا الحالتين لن يكون الا انسانا مفكرا ...) .

وحير ابو حيان الناس فى ايمانه وكفره ، وفى تدينه وزندقته ، فقد نسب الى ابن فارس اللغوى الشهير انه قال فى كتاب « الفريدة والخريدة » ان التوحيدى (كان كذابا ، قليل الدين ، والورع عن القذف ، والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمور جسام من القدح فى الشريعة ، والقول بالتعطيل) . ونقل السبكى صاحب « طبقات الشافعية » عن ابن الجوزى المؤرخ أن زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى ، وابو حيان التوحيدى ، وابو العلاء . وروى السبكى عن الامام الذهبى المؤرخ انه قال ان ابا حيان كان عدو الله خبيثا سيىء الاعتقاد .. وفى الوقت نفسه روى السبكى عن ابن النجار قوله : كان ابو حيان فقيرا ، صابرا ، متدينا ، صحيح العقيدة !! كما ذكر ياقوت الرومى فى معجمه ان ابا حيان صوفى السمت والهيئة ، والناس على ثقة فى دينه !! ودافع السبكى فى طبقاته مرة أخرى عن ابى حيان قائلا : ولم يثبت عندى من حال ابى حيان مايوجب الوقيعة فيه ، وعلل نيل الناس منه بأنه كان قوى النفس معتدا بها مزدريا بأهل عصره ، فاتهموه بأشنع مايتهم به انسان من الكفر والزندقة ...

ولقد عرض الدكتور عبد الرزاق محى الدين قضية الزندقة هذه عرضا واضحا ، وذكر اقوال المتهمين ، واقوال المخالفين المدافعين من القدماء ، ثم خلص من ذلك القول بأن التوحيدى (كان حنيفا مسلما ، ماند عن شىء من أصول الاسلام العامة ، وتهمته بالالحاد لم تثبت من حال أو مقال) . ثم حاول بعد تبرئته ان يرده الى فرقة من بين الفرق الاسلامية ، فلم يكن شيعيا ــ وان كان احب أهل البيت ــ ولكنه كان من أهل السنة .

وسار الدكتور الحوفى فى سبيل عبد الرزاق محى الدين ، فعرض القضية كما عرضها ، وفند

رواية ابن فارس كما فندها محى الدين ، وذكر حكاية طلب الوزير المهلبى له ليقتله ، فاستتر منه ومات فى الاستتار ، وقطع ببطلانها واستحالتها ماديا ، كما فعل قبله الدكتور عبد الرزاق ، ولكنه لم يشك فى كتاب « الفريدة والخريدة » كما شك محى الدين ، وان كان زاد على الأدلة التى جاء بها هذا ليبرىء التوحيدى من تهمة الالحاد ، فاتى من كلام ابى حيان نفسه ما يثبت تدينه . وتناول ابراهيم الكيلانى قضية الزندقة فى ايجاز خلص منه الى الاشارة الى من انصفوه من المحدثين ودافعوا عنه ، وعلى راسهم المستشرق آدم متز ، والمرحوم محمد كردعلى الذى رجع ان للحسد والحقد دخلا كبيرا فى الطعن على أبى حيان . ولكن الكيلانى لم ينصف الدكتورين عبد الرزاق محى الدين ، واحمد الحوف ، فلم يشر الى دفاعهما المجيد فى هذه القضية ، بل لم يتفضل حتى بالاشارة الى كتابهما فى ثبت مراجعه (١) !! ولعلك تحب أن تعرف راى الفلسفة والمشتغلين بها فى قضية الزندقة عند أبى حيان، والدكتور زكريا ابراهيم يكفينا مئونةهذا ، فهو المشتغل الوحيد بالفلسفة بين هؤلاء المؤلفين الخمسة عن أبى حيان ، وقد احتفظ برايه الى ان يتم نشر مخطوط « الحج العقلى ، او الحجيج » للتوحيدى ، ليعرف مدى مافيه من آراء وتعاليم حلاجية ادت الى اتهام ابى حيان بالزندقة ، كما ادت الى قتل الحلاج.

ولم يكتف ابو حيان التوحيدى بأن يحير الناس فى عصره وبعد عصره بهذه الأمور وحدها، بل هناك كثير من المسائل حول هذا الرجل لم يلتق فيها الناس على رأى . فقد اتهمه قوم بالوضع وانه لم يكن ثقة امينا فيما ينقل ... فقال قوم بانه حرف بعض الأحاديث النبوية ، ومنها حديث : « حبب الى من دنياكم ثلاث ... الخ » ، وقال آخرون انه وضع رسالة السقيفة المتبادلة بين ابى بكر وعمر وعلى بعد حادث السقيفة ، وقد رواها عن شيخه ابى حامد المروروزى . وقد نقل ابن ابى الحديد فى كتابه شرح نهج البلاغة .. نص رسائل السقيفة كلها ثم علق عليها بأنها من وضع أبى حيان وصنعه . وممن ذهب الى أن الرسالة موضوعة حسن السندوبى والدكتور احمد الحوفى ، أما الدكتور عبد الرزاق محى الدين فقد انتهى الى الحكم بأن اتهام التوحيدى بوضع هذه الرسالة يحتاج الى دليل قوى لم يتهيأ له فيما قرأ من ادلة ابن أبى الحديد على وجه اليقين ... وذهبالدكتور زكريا ابراهيم الى ترجيح القول بأن ابا حيان التوحيدىهو واضعها ومؤلفها الحقيقىلسببين : اولهما تأثره بما وقع من حوادث دامية فى زمنه بين اهل السنة والروافض ، وثانيهما عداوته الشخصية لكل من ابن العميد والصاحب ابن عباد ، وهما من رءوس الشيعة فى زمانهما ،

واذا كان الدكتور عبد الرزاق قد ذهب الى ان الوزير المثلوب فى كتاب « مثالب الوزيرين » هو ابو الفتح بن العميد لا والده المعروف بأبى الفضل بن العميد ، فان الدكتور زكريا ابراهيم ذهب مع القائلين بأن المثلوب هو الوالد لا الولد ، وان ذلك لم يمنع ان ينتقصالتوحيدى الابن ايضا . على ان التوحيدى كان منصفا حتى فى حالات سخطه ، فقد اثبت من المحاسن للأب وابنه مالا يليق بمنصف ان يغفله ..

وقد لبس الدكتور زكريا ثوب الدفاع عن ابى حيان والتماس العذر له فيما بدا من وجوه ضعفه ... واعلن عن ذلك الموقف فى مقدمة كتابه الحماسية العاطفية فقال : (وقد يجد القارىء فى تضاعيف احاديثنا عن ابى حيان شيئا من التحمس أو التحيز او المحاباة ...) فهو يدافع عن سخف لسان ابى حيان وسخطه وانشغاله بالذم والثلب ، ويلتمس له العذر فى ثلب الوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد (لأنه لم يكتب ما كتب فى ثلب الوزيرين الا تحت تأثير فشله فىالخروج من ضائقة الفقر ، بعد طول الرجاء والتأميل !) . وهو دفاع لا نجد له ما يسوغه ، فأن هذا السبب الواهى لا يوجب هذا الثلب القبيح . و حتى مع انصاف ابى حيان للوزيرين فى بعض الحين فما كانيليق به فى اقسى

---

(١) كانت أبسط قواعد الأمانة العلمية تقضى بعدم اغفال مراجعين لهما قدرهما فى الترجمة لأبى حيان .



الظروف أن ينزل الى هذا الدرك . أما حكاية ابن فارس ـ الذى يقال انه شنع على أبى حيان ورماه بالقذف والبهتان والقدح فى الشريعة ـ وهى الحكاية التى اتخذها الدكتور زكريا مسوغا لثلب الوزيرين، فقد شك فيها الدكتورمحى الدين ورماها بالتوهين لأنه نقل تفرد به المؤرخ ابن الجوزى وحده ، ولاحظ عليها اغلاطا تاريخية . وقد اتخذ الدكتور زكريا هذه الحكاية قضية مسلمة ولم يناقشها مناقشة المؤرخ المحقق ـ كما فعل الدكتوران محى الدين والحوفى ـ ليؤسس عليها تبرير ثلب التوحيدى للصاحب ابن عباد وابن العميد .

ويزيد الدكتور زكريا فى الدفاع عن بذاءة لسان أبىحيان بأن الحد الفاصل عنده بين«روح النقد » و « روح الانتقاد » لم يكن حادا متميزا، فطغت عنده روح الانتقاد الى حد تضخمت معه فى نظره عيوب الناس . وقفزت الى عينيه مثالبهم قبل مناقبهم . وهو دفاع المحب الراضى كما ترى !!

وانظر الى امعان الدكتور زكريا فى الدفاع عن أبى حيان ، فهو يلتمس له العذر فى توسله الى ابن العميد واستجدائه الصريح ، ويقول ان رسالة التوسل هذه كتبها الرجل فى فترة عصيبة من حياته، فقد كان يعانى ذل الفقر ومرارة الحرمان ... (والرجل الجائع لا يعرف دينا ولا مروءة ولا عزة نفس) . وهنا تبدو من الدكتور زكريا مغالطة المحب الوامق ... فمن قال ان أبا حيان كان جائعا ؟؟ لقد كان الرجل طامعا لا جائعا ، وقد كان فيه طموح لم يعرف السبيل الى نجاسة نجمه، فأخفق حيث كان يستطيع أن ينجح المتمرسون بفن الحياة . وما أصدق الدكتور احمد الحوفى وهو يقول فى هذا المعرض : (ولقد كان أبو حيان يستطيع ان يعيش من الوراقة ومن العلم ، ويترفع عن التأميل فى وزراء عصره ، وكانت له أسوة فى كثير من أصدقائه ومخالطيه من العلماء والأدباء ، فقد كان كثير منهم محروما ، ولكن أبا حيان لم يتأس بهم ، ولم ينظر الى شظف حياتهم ، وانما مد بصره الى نعمة رآها على غيرهم) . ومد البصر هذا ـ أو الطمع ـ هو السر عندى فى اخفاق أبى حيان فى الحياة ...

والدكتور زكريا ابراهيم هو المشتغل الوحيد بالفلسفة من بين الخمسة الكرام الذين ألفوا كتبا عن أبى حيان ، فهم ادباء ورجال بيان ، ولكن زكريا استطاع بفلسفته الأدبية الواعية أن يرينا مواطن الجمال فى أسلوب التوحيدى الأديب الفيلسوف ، فهو يقول صادقا : « ونحن نعرف أن الفنان يعبر عن المعانى بالصور المحسوسة ، فى حين أن الفيلسوف يعبر عنها بالتصورات الذهنية . وهذا هو الفارق مثلا بين أسلوب أديب كالجاحظ ، وأسلوب فيلسوف كالفارابى . وأما التوحيدى فهو أديب فيلسوف ، يعلم أن فى كل محسوس ظلا من المعقول ، وان الحسيات معابر الى العقليات ، فليس بدعا أن نراه يمزج الحس بالعقل ، والأدب بالفلسفة ، كى يخرج لنا من ذلك ثقافة حرة يرتاح لها المتأدب ، ولا ينفر منها المتفلسف » .

ان نصف كتاب الدكتور زكريا فى سيرة التوحيدى وشخصيته وانتاجه ، ونصفه الآخر فى التوحيدى الفيلسوف : فيلسوف التوحيد، والتساؤل ، فيلسوف الانسان ، والتشاؤم ، فيلسوف الفكاهة والفن . وهذا النصف هو الشطر الذى نرحب به من كتاب الدكتور زكريا ، ففيه جديد غير معاد ولا مكرور ، وفيه طريف غير مسبوق اليه ... وان كان فى سبيل الفلسفة وعلم النفس يؤول كلام أبى حيان تأويلا قد لا يكون خطر له على بال .. فظاهرة ظهور كل مكنون قد عبر عنها أبو حيان بطريقته فى كتاب « الهوامل والشوامل » ، ولكن الدكتور زكريا يجعل من أبى حيان عالما سيكلوجيا بالمعنى الحديث فيقول : (والتوحيدى هنا يكشف عن عقلية سيكلوجية ممتازة ، لأنه يفهم أن الظاهرة النفسية

لا تبقى مكنونة فى طوايا الشعور ، بل هى تظهر فى العالم الخارجي على شكل تغير يطرأ على السلوك) . ولقد أسرف الدكتور زكريا فى تحميل كلام أبى حيان ما لا يحتمله من علم النفس الحديث ، ولعله أدرك ذلك . فقال : (حقا ان التوحيدى يستخدم من المصطلحات مايختلف عن المصطلحات السيكولوجية الحديثة ، ولكن معانى هذه المصطلحات قد لا تختلف كثيرا عن معانى تلك المفاهيم العلمية التى اصبحت سائدة الآن فى مضمار التحليل النفسى) . الحق ان ومضات التوحيدى النفسية كثيرة لماحة، ولكنها لا تجعل منه باحثا سيكولوجيا بالمفهوم العلمى الحديث . ولعل تحمس الدكتور زكريا هنا هو رد الفعل الطبيعي للغمزة التىغمز بها المستشرق «مايرهوف» فيلسوفنا ابا حيان فى خلال حديثه عن كتابه « المقابسات » ، فقد ذكر هذا المستشرق انه « ليس لهذه المحاورات قيمة كبيرة » . ولم يسكت الدكتور زكريا ــ بالطبع ــ علىهذه الغمزة فرد عليها قائلا : (ونحن لا نوافق مايرهوف على قلة جدوى المحاورات التى نقلها أبو حيان ، فأن صياغتها فى القالب الأدبى لا تنتقص من قيمتها العلمية ، بل هى تدلنا على إن التوحيدى كان واحدا من اولئك الادباء الفلاسفة ، والفلاسفة الأدباء ...) .

والدكتور زكريا ابراهيم فى مغالاته وغلوه فى حب أبى حيان يجعل من ملحوظاته العابرة : (كثيرا من الملاحظات السيكولوجية القيمة ، والنظرات الفلسفية العميقة ...) ومن هذه الملاحظات والنظرات الفلسفية العميقة ــ فى نظر الدكتور زكريا ابراهيم ــ فكرة ترك الماضى بوساوسه ، والمستقبل بمخاوفه ، والانشغال بالحاضر وحده ... وهذه الخاطرة العابرة عبر عنها شاعرنا القديم قائلا :

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التى انت فيها

الم أقل لك ان الدكتور زكريا محب كل الحب لأبىحيان ؟ فلم يكتم أن يحابيه وأن يتحيز له كما صرح بذلك فى مقدمة الكتاب ، وكما بدا ذلك فى خلال الكتاب . ورحم الله شوقى القائل :

(ولكن من احب الشىء حابى)

وبعد : فقد استمتعت بكتاب الدكتور زكريا ابراهيم عن ابى حيان التوحيدى فقد كشف عن نواح من الرجل لم يكشف عنها الأدباء ، فكان بذلك مثالا لما بين الفلسفة والادب من وشائج ، وهى وشائج أحسن الحديث عنها فى ايجاز دقيق الأستاذ على ادهم فى مقدمته لكتابه: « بين الفلسفة والأدب » الذى ظفرت به المكتبة العربية منذ قرابة عشرين عاما ...

محمد عبد الغنى حسن

سطور من كتاب ...

« كانت المهمة الأساسية للكتاب ، ولا زالت ، هى نشر المعرفة والفن والتسلية ، فلم تقم أساسا كوسيلة لنشر الأنباء ، وترجع أول صحف دورية نشرت الى عام ١٦٠٩ م فظهرت فى أوجسبورج وستراسبورج . »

المنزل



تأليف
م . فورستر



ترجمة : محمد مفيد الشوباشى
مراجعة : فـؤاد انـدراوس

الكاتب الانجليزى المعاصر ادوارد مورجان فورستر من المخضرمين ، فقد ولد بلنـدن فى سنة ١٨٧٩ وتخرج من كلية الملك بجامعـة كمبردج . وقد عرف بالقلة فى انتاجه ، ولكنه ناضج الفكر والأسلوب ، وقد يختلف النـاس حول مرتبته الفنية فى عالم القصـة ، بيد انه لا خلاف تقريبا على صفة واحدة يتحلى بها هى « الاحترام والوقار » .

وقد أشـار فورستر الى ذلك بمناسبة احتفال الاذاعة البريطانية قائلا : « انى لم اكتب بالكثرة التى كنت أودها ... فأنا اكتب لسببين: فمن جهة اكتب لأحصل على المال ، ومن جهة أخرى اكتب لأحصل على احترام من احترمهم من الناس ! ... وقد يحسن أن أضيف الى هذا انى على يقين من انى لست قاصا عظيما » ولكن الأكثرين من صفوة القراء والنقاد يرون فيه غير هذا الرأى ، ويعتبرونه كاتبا عظيما ، وان لم يكن قاصا عظيما على وجه التحديد فى أرجح الآراء ..

ولفورستر خمس قصص طويلة مشهورة هى « رحلة الهند » و « هواردز اند او البيت الريفى » و « وحيث يخشى الملائكة أن يضعوا اقدامهم » و « أشد الرحلات طولا » و « حجرة تطل على منظر » . وله مجموعة من القصص القصير ، وكتابان عن الاسـكندرية التى قضى بها فترة الحرب العالمية الأولى فى خدمة الصليب الأحمر .

وقد نشرت آخر قصصه الطـويلة ، وهى « رحلة الهنـد » فى سنة ١٩٢٤ ، اما القصص الأربعة الأخرى فظهرت تبـاعا فيما بين سنتى ١٩٠٥ و ١٩١٠ . وقصـته « هواردز اند » بالذات بدأها سنة ١٩٠٨ وانتهى منهـا سنة ١٩١٠ ، فهى تنتمى مثل معظم انتاجه القصصى ـ بل كله فى الحقيقة باستثناء رحلة الهنـد ـ

الريفى

هــــواردز أنــــد



الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
٥١١ ص ١٧×٢٤ الثمن ٤٢ قرشا

الى عالم ماقبل الحرب العالمية الأولى. بيد ان هذه المدة التى تزيد على نصف قرن من الزمان كافية جدا للحكم على فنــــه حكما مستأنيا ، ولا سيما من جهة قابليته للبقـــاء واكتمـــال عناصره . وقد يدل على شيء من هـــذا ان قلة انتاجه وتباعده لم يكونا سببا فى اختفاء اسمه واندثار شهرته ، فالاقبال على أعمـــاله لم يزل شديدا ، حتى أن قصته « رحلة الهند » وزعت قرابة المليون نسخة . ولا يذكر أعلام القصـــة الكبـــار فى انجلترا الا ذكر فى طليعتهم ا . م . فورستر .

فلماذا ؟

لأن له طعمه الخـــاص فى قصصه كله على العموم ، ذلك الطعم الذى يتميز به عن ســـائر معاصريه ، لأنه لا يتبع تيارا أدبيا معينا ، ولم يتأثر فيما كتب بالطبيعيين الفـــرنسيين على الخصوص ، على فداحة نفوذهم فى الفترة التى ظهر فيها الجانب الأكبر من أعماله القصصية . فهو قاص على الطريقة الانجليزية ، يروى حكايته بنسقه الخاص فى أناة ، ويلف قصصه جـــو الغموض الضبابى فى مواضع كثيرة ، وهو جو شبيه بجو انجلترا الواقعى .

ويتخذ فورستر دائما دور الراوية المحيط بكل شيء علما ، الذى يعلق على احداث القصة واشخاص ابطالها تعليقـــات ثمينـــة نفاذة . والحبكة عنده ــ فيما عدا رحلة الهنـــد ــ من نوع غير مألوف ، والأحداث غريبـــة بعيـــدة الاحتمال . وهو على غرار فيلدنج وثكرى يجعل من قصصه معرضا لمواقف شخصية هدفهـــا الانتصار على الظروف المحيطة ، فكأنها «غزوات» للشخصية الرئيسية غايتها تحقيـــق الذات أو تطويع البيئة النفسية والاجتماعية لقيم محددة .

ويمكن القول ان قصصه تنقصها الوحدة المتماسكة فى الأحداث ، ولكنها تتماسك بفضل وحدة الأسلوب ، الذى يشـــهد له الجميع بأنه شديد التميز ، فهو صاحب اكثر الأســـاليب تفردا بين القصاصين الانجليز المعاصرين ، منذ « مريديث » ، الذى يدين له فورستر بشيء غير قليل من الاستاذية .

وماذا تمثل مواقف أبطال قصصه بوجـــه عـــام ؟

انها تمثل قبل كل شيء « الايمان بقداســـة الصلات القلبية » ، ولعله متأثر فى هذا بنشأته الخاصة فى كمبريدج ، حيث الاهتمام شـــديد بالصلات الشخصية والأحاديث الفكرية الرصينة ونزاهة الرأى واستقلاله . الا أنه لا يعرب عن هذه القيم فى قصصه بطريقة مباشرة ، بل يعمد غالبا الى الرمز ، وليس أمام القـــارىء الا ان يخرج « ثمرة الكستناء » من غلافهـــا الصلب الشائك ، ان شاء البحث عن المغزى العام . أو ان يستشعر ذلك بفطنته المباشرة .

وأيا كان الأمـــر ، فقصص فورستر عموما اشبه ببستان متنوع الثمار ، ولكن أشجـــاره جميعا مثقلة بالناضج المتمـــاز من كل نوع .

وليس بين الثمار من وحدة الا وحدة التذوق ، ووحدة الطبيعة الواحدة الخالقة والتربة الواحدة الخصبة والأفق الواحد .

وقد يكون من اكثر مواضع قصصه دلالة على طريقته الفنية في نقل احساس ابطاله بالواقع على نحو شخصي متفرد ، تلك الفقرة التي وردت في كتاب « البيت الريفي هواردز اند » عن تجربة البطلة هلين شليجل مع سيمفونية بتهوفن الخامسة : (ص ٤٥ من الترجمة العربية) :

« وكانت الموسيقى حينذاك قد بدات بشيطان يسير في هدوء من احد أطراف العالم الى الطرف الآخر ، ويتبعه آخرون . ولم تكن مخلوقات معتدية ، وهذا هو الذي جعلها تبدو لهلين مخيفة جدا . ان كل مافعلته انها لاحظت اثناء مرورها ان الدنيا خالية من الجلال أو البطولة ، ثم عادت من جديد بعد فاصل من رقص الفيلة ، وابدت نفس الملاحظة الثانية . ولم تستطع هلين تكذيبها ، لأنها شعرت بمثل هذا مرة على الأفق ، ورأت جدران الشباب المكينة تنهار ... رات الفزع والفراغ ! ... كأن الشياطين على صواب .

الفزع والفراغ ! ...

« ورفع اخوها اصبعه ... لقد كانت هذه فقرة الإنتقال على الطبل . ذلك انه لما بدا ان الأمر تجاوز حده قبض بيتهوفن على الشياطين ، وحملها على فعل مايريد ... وظهر بشخصه ، ودفعها دفعة هينة ، فبدات تسير على المقام الموسيقى الكبير بدل الصغير ... ثم نفخ بفمه فتشتتت ! نفحات من الجلال .. آلهة وانصاف آلهة يصطرعون بسيوف هائلة ... والوان وروائح زكية منشورة على ميدان القتال ... انتصار رائع ! وموت رائع ! أوه . لقد تفجر هذا كله أمام الفتاة حتى انها مدت اليه يديها المكتسيتين بالقفاز كأنما يمكنها لمسه ... ان الموت جليل أيا كان ، والنضال مستحب أيا كان ، والغالب والمغلوب على السواء ينالان الاستحسان من ملائكة الانجم العليا .

« والجان ! ... انها لم تكن في حقيقة الأمر هناك قط ، - اكانت مجرد اشباح للجبن والكفر ؟ وهل دفعة واحدة انسانية سليمة تبددها ؟ ان رجالا مثل أسرة ويلكوكس أو مثل الرئيس روزفلت يجيبون عن هذه الأسئلة بالايجاب . ولكن بيتهوفن كان ادرى . فالجن موجودون حقيقة وفعلا . وقد تعود الجنيات .. وها هي ذي عادت . وبدا كأن جلال الحياة قد يفور ويتحول الى بخار ويذهب جفاء ، وفي اثناء تحلله ارتفعت النغمة الرهيبة المشئومة ، وبدا شيطان يمشّي فوق الكون في هدوء ، وفي خبث متزايد ، متنقلا من احد طرفيه الى الطرف الآخر .. والفزع والفراغ ! .. الفزع والفراغ ! .. وحتى حصون العالم الساطعة يمكن ان تتهاوى ..

« وقد شاء بيتهوفن ان يصحح كل شيء في النهاية ، فاقام الصروح المنهارة ، ونفخ بفمه مرة ثانية فتبددت الشياطين من جديد ، واعاد نفحات الجلال والبطولة والشباب ، وبهاء الحياة والموت ، واختتم سيمفونيته الخامسة وسط هدير هائل من الطرب الأسمى . ولكن الشياطين كانت هناك . وكان في مقدورها أن تعود ادراجها .. لقد قال ذلك في شجاعة ، ولذلك يستطيع المرء ان يثق في بيتهوفن عندما يقول اشياء أخرى .. » .

فهذه الفقرة نموذج لأدب فورستر كله وما ينطوي عليه من نظر ثاقب وبصيرة نفاذة الى طبائع الأشياء الكامنة وراء محسوساتها الظاهرة . واسلوبه متفرد وشخصي لأن التجربة التى يعبر عنها متفردة وشخصية . فليس اسلوبه لفظا مستقلا ، وانما هو تجسيم لفظي لتجربة فكرية او وجدانية خاصة اشد الخصوصية . ولا يتسنى للقارىء غير المثقف روحيا وعاطفيا ان يفهمه بوضوح . بل لابد من قارىء تعود رياضة نفسه وفكره على التأمل والتعمق الفردي في الاحساسات كي يفهم مرامي هذا الكاتب الرصين المقل ، لأنه لا يكتب كتابة ذهنية بل تنبع كتاباته من المنبع عينه الذي يستقي منه الشاعر : منبع

التجربة الحية الناضجة التى لا تتيسر فى كل حين .

والحقيقــة ان قصــة « البيت الريفى هواردز اند » اختيار موفق جدا يدل دلالة وافية على فن فورستر ، وقد ترجمه مترجم شــاعرى اللغة والاحساس فاستطاع أن يوفر للترجمــة الكثير جدا مما يمتاز به الأصل الانجليزى من طعم خاص . فالأستاذ محمد مفيد الشوباشى يستحق الشكر والثناء على هذا الجهد الطيب الذى اضاف به ذخرا آخر الى المكتبة العربية .



والبيت الريفى قصة أخرى من قصــص الكفاح فى سبيل التوازن النفسى والفردى فى عالم مضطرب متغير متباين العناصر . عالم لا مبرر لوجود الانسان فيه الا ما يستدعه من احساس فنى فى أعمال المخيلة والفن ، ولا سيما الموسيقى . فهو شديد النقد فى هذه الرواية لافتقار الانسان المعاصر الى التكامل المتوازن ، نتيجة لعدم النضج الوجدانى أو توقف ذلك النضــج عند مرحلة معينة . فهؤلاء هم الأشرار حقا فى رواية البيت الريفى، بل وفى معظم رواياته الأخرى أيضا . وهذا الافتقار الى النضج الوجدانى راجع ــ فى رأى فورستر ــ الى القيم التى تسود تربية الطبقــة الوسطى الراقية فى انجلترا ، أى طبقة الأغنيــاء ، حيث لا يوجد تحت السطح عندهم سوى الخواء التام فى الاحساس . فلا شخصية حقيقية لهم ولا فردية فكرية أو وجدانية . وفى مقابل هذا الاطار المنحط من القيم يضع فورستر شخصية أو شخصيات من نوع آخر تمثل النضج والاصرار على حياة التكامل المتوازن داخليا وخارجيا

وفى هواردز اند شخصيتان بطوليتان من هذا النوع ، هما الشقيقتان الالمانيتا الأصــل هلين ومرجريت شليجل ، وكأنه يريد بأصلهما الألمانى ان يؤكد المفارقة بينهمــا وبين الطبــع الانجليزى المحض ، ففيهما استقلال فى الرأى ، واحساس عميق بالموسيقى ، واخلاص شــديد لذات نفسيهما . ومع هذا فهما مختلفتان فيما بينهما اختلافا واضحا فى مكونات المزاج وطريقة التفكير . وبين هاتين الشقيقتين الفذتين وبين البيئة الانجليزية الصميمة فى طبقتها الوسطى العالية وطبقتها الوسطى الصغيرة تجرى صلات تترتب عليها مواقف وتحليلات قيمة لكل ما تمثله الحياة الانجليزية من انظمــة وأســاليب فكرية وخلقية أشبه بالقوالب الصماء .

ويمثل الطبقة الثرية الجامدة الســطحية آل ويلكوكس ، ومع هذا لا يحول التباين الشديد دون نشوء الحب بين مارجريت ورأس هــذه الأسرة الأرمل ، صاحب البيت الريفى هواردز اند الذى أحبته هلين حبا شديدا منذ بداية القصة ، لأنه بيت ذو « جــو » ، وذو « شخصيــة » متفردة ...

ان فورستر يحلل فى هذه الرواية كل شيء يعرض للحياة اليومية للشخصية الأساسية ، فهو يندد مثلا بأن « الانجليزى العــادى » يرى الدنيا يوم الأحد بغير العين التى يراها بهــا فى سائر أيام الأسبوع ! انه فى يوم الأحــد يرى الجمال والطبيعة ، اما فى أيام الاسبوع الأخرى فلا مكان لها عنده !

فهذه الآنسة شليجل تقول للشاب باست :

« انك كنت على نحو يوم الأحــد الماضى ، واصبحت على نحو آخر اليوم ... ونحن نود أن تكون هناك رابطة بين يوم الأحــد والأيام الأخرى ، فأى خير فى نجومك واشجارك وشروق شمسك ورياحك اذا هى لم تدخل فى حياتنــا اليومية ؟ أليس علينا جميعا ان نكافح شــقاء الحياة اليومى ، والخسة ، والابتهاج المصطنع ، وإساءة الظن ؟ أنا اكافح ذلك بتذكر أصدقائى، واعلم ان غيرى يكافحون بتذكر مكان ما ...

مكان ما محبوب .. او شجرة .. وقد ظننناك احد هؤلاء » .

وانظر الى هذا التعليق على تطور الملكية فى العصر الحديث :

« ان الملكية الاقطاعية للأرض كانت تورث الوقار ، بينما الملكية الحديثة للمنقولات ترجع بنا القهقرى الى عهد القبائل الرحل . اننا نرتد الى حضارة (الامتعة المنقولة) ، وسيذكر مؤرخو المستقبل كيف كانت الطبقات الوسطى تكثر من تملك الامتعة دون ان تتخذ لها قرارا من الارض ، وقد يجدون فى ذلك سر فقرها فى الخيال ! » .

اما الحب فيقول عنه :

« كثيرا ما عجبت مارجريت للاضطراب الذى يغشى مياه العالم عندما يتسرب اليها « الحب » ، وهو الذى يبدو كحصاة صغيرة اشد الصغر ! فمن ذا الذى يهتم بالحب غير المحب وحبيبته ؟ ومع ذلك فان وقعه يغرق مئات الشواطىء ، ولا ريب ان ذلك الاضطراب هو فى الواقع روح الاجيال تحتفى بالجيل الجديد ، وتتحرش بالقدر النهائى الذى يمسك بالبحار جميعها فى راحة يده . ولكن الحب لا يستطيع ان يدرك ذلك . انه يعجز عن فهم خلود غيره لانه لا يعى الا خلوده هو وحده ... شعاع طائر ، وردة متساقطة ، وحصاة تلتمس غطسة واحدة هادئة تحت تفاعل الزمان والمكان القلق المضطرب ... والحب يعلم انه سيظل حيا بعد فناء كل شىء ، وان القدر سيلتقطه كما تلتقط الدرة من الطين » وسيسلم فى اعجاب الى محفل الآلهة . وسيقول الآلهة : « ان الناس ابتدعوا هذا » واذ يقولون ذلك يمنحون الناس الخلود ! » .

ولو طاوعنا انفسنا فى الاختيار لنقلنا عشرات الصفحات من ثمار هذا البستان المثقل بفوالى الحكم العميقة والنظرات الحصيفة فى الحياة والناس .

وكان فى ودنا ان يسلم الكتاب من الهنات القليلة التى نحسبها من قبيل السهو . ففى ص ٦٩ مثلا « ترتفع بها هنا وهناك (هضابا) غير منتظمة الشكل » . وصوابها هضاب طبعا ، بغير الف ، لانه لا موجب فى هذا الموضع للنصب .

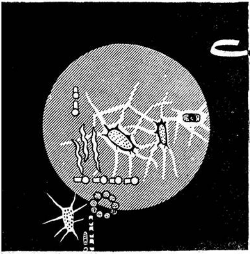
وفى ص ١٢٨ « وكانت عيناه حتى وهو يهم بالأكل تمتلئان بالدموع فيضع (لقمة العيش) امامه دون ان يذوقها » . والمقصود هنا كما جاء فى النص الانجليزى نصيبه (الذى اقتطعه او اقتطع) له من الطعام ؟

وفى ص ١٣٣ « كانت المتوفاة تشق (فى) زوجها » وصوابها تثق بزوجها ، وفى ص ١٦٣ « ان (تواضعى) اكثر من جمالى » والأصح الرجوع الى الأصل ليس التواضع بل الحياء او الاحتشام ، وان كانت الكلمة بالانجليزية من معانيها التواضع ايضا ، الا ان التواضع ليس المعنى المقصود هنا ...

والمضاف اليه كليهما ، بل على المضاف اليه فحسب ...

وامثال هذه الهنات القليلة لا تهبط بقيمة هذه الترجمة الجميلة .

د . نظمى لوقا



صراع مع الميكروب

تأليف

د. محمد رشاد الطوبي

الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٥١ ص قطع صغير - الثمن قرشان

عالم الميكروبات عالم حافل عجيب أطل الانسان عليه منذ حوالى ثلثمائة عام أى بعد اكتشاف الميكروسكوب ولا يزال يقف منه على الاعتاب اذ يكتشف منه كل يوم جديدا ، وقد أصبح الميكروسكوب الالكترونى اليوم نافذة سحرية جديدة تطل منها على دنيا الفيروسات أو « ما وراء الميكروبات » .

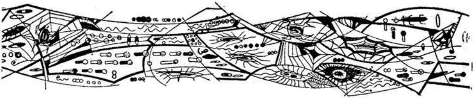
وللميكروبات صلة وثيقة بالانسان فى جميع مجالات حياته ، ففى المجال الزراعى مثلا تلعب البكتريا دورها المعروف فى تسميد التربة عن طريق تثبيتها للأزوت الجوى ، كما تسبب الفطريات كثيرا من امراض النبات مثل صدأ القمح وبياض العنب وجرب البطاطس . وفى المجال الصناعى تلعب الميكروبات ايضا دورها اذ تعتمد كثير من الصناعات كصناعة الكحول ومنتجات الألبان على انواع مختلفة من الكائنات الدقيقة . اما فى المجال الطبى فيمكن ذكر قائمة طويلة من الأمراض الخطيرة التى تسببها الميكروبات والتى سيأتى ذكرها فى مواضعها من البحث .

ونظرا لهذه الصلة احتلت دراسةالميكروبات مكان الصدارة بين العلوم البيولوجية فى كل الدول المتقدمة علميا ، ولم تقف بلادنا أمام هذا التقدم العلمى موقف المتفرج ، فالبحوث التى تجرى داخل معاملنا اليوم قد اصبحت محل اعتبار فى المجالات الأكاديمية الدولية ، وقد ادت معظمها الى نتائج تصلح أساسا للتطبيق العلمى فى مختلف قطاعات الاقتصاد القومى ... ولهذا بات من الضرورى ان تتسع دائرة ثقافتنا ومعرفتنا بالعلوم الميكروبية حتى تواكب تقدمنا العلمى التجريبى فى هذا الميدان ، فمن الملاحظ ان ثقافتنا العامة فى كثير من العلوم التجريبية لا تزال متخلفة خطوات واسعة عن المرحلة التى بلغها المتخصصون فيها وان هناك هوة سحيقة بين ما يجرى فى معاملنا وما يجرى على السنتنا . ولعل السبب فى ذلك راجع الى قلة المراجع العربية التى تقدم الحقائق والمعلومات الأساسية لغير المتخصصين بطريقة مبسطة تمكنهم من المشاركة فى الاهتمام بالبحث العلمى ومتابعة التقدم الذى يحققه علماؤنا فى وعى واحتفال .

ومن هنا تتضح اهمية ظهور كتاب كالذى نتناوله اليوم بالدراسة والتحليل .

وكتاب « صراع الميكروب » يتناول بالشرح ثلاثة جوانب رئيسية من علم الكائنات الدقيقة :

١ - تعريف بالميكروبات : ماهيتها وخصائصها وعلاقتها بالانسان .



٢ ـ متابعة للدراسات الميكروبية منـــذ بدء اكتشاف هذه الطائفة من الكائنات حتى أصبحت دراستها علما قائما بذاته .

٣ ـ بسط مفصل للمعارك التى خاضها العلماء فى مختلف انحاء العالم ضـد الميكروبات حتى تم للعلم الانتصار على بعضها وتسخير بعضها الآخر لصالحه .

أما الجانب الأول فقـد تناوله المؤلف فى مقدمة كتابه حيث عالج تعريف الميكروب كما يفهم من اسمه العلمى المؤلف من مقطعين هما Mikros أى دقيق و Bios أى حياة ، وبذلك تكون الميكروبات هى الكائنات الحية الدقيقة ، وقـد بين المؤلف ان من الميكروبات ماهو نافع كالخميرة ، وفى ذلك تصحيح للاعتقاد الشائع بأن الميكروبات لا ترتبط الا بالضرر ... وقـد التزم المؤلف الحديث عن الأنواع الضارة وحدها لانها هى التى عاش معها الانسان فى صراع ، وهذا الصراع هو موضوع الكتاب .

وطبيعى ان تكون الأمراض البشرية على رأس قائمة الأضرار التى تلحقهـا الميكروبات



باستير

بالانسان (وهذه القائمة تشمل أيضا أضرارا غير مباشرة كأمراض النبات التى اوردنا امثلة منها فى مستهل المقال والتى لم يخصص لها المؤلف طرفا من حديثه المستفيض مع انه لم ينس الاشارة الى مرض ديدان القز الذى يدخل أيضـا ضمن الأضرار غير المباشرة التى لا تصيب الانسان فى نفسه وانما فيما يستغل من أحياء لصالحه) .. على اية حال لقـد اوضح المؤلف ان الميكروبات المسببة للأمراض تنتمى الى ثلاث مجاميع من الكائنـات الحية هى البكتيريا ، والحيوانات الأولية والفطريات مرتبة حسب خطورتها ، واورد عديدا من الأمثلة للأمراض التى تجلبها كل مجموعة ، فمن الأمراض البكتيرية الدفتريا والتيفود والطاعون والسيلان والسل ، ومن الأمراض التى تسببها الحيوانات الأولية الملاريا والدوسنطريا الأميبية ومرض النوم ، ومن الأمراض الفطرية القراع .

ولم ينس المؤلف أن يشير الى مجموعة اخرى من مسببات الأمراض هى الفيروسات التى يبدو مما أورد المؤلف من شواهد ، ان الرأى لم يستقر بعد على ما اذا كانت كائنات حية ام غير حية فهى على أقصى اجتهاد تمثل عالم « ما وراء الميكروبات » ... ونستطيع ان نضيف فى هذا المجال ان الاقتناع السائد بين الأوساط العلمية المتخصصة اليوم هو ان الفيروسات كائنات غير حية ولكنها قادرة على « استعارة الحياة » وهو اقتناع مبنى على الدراسات المستفيضة عن خصائص هذه المجموعة وتركيبها ونشاطها ، ويعزز هذا الاعتقاد حقيقة معروفة عن الفيروسات هى انها لا يمكن زرعها على مواد غذائية كما فى حالة البكتريا والفطريات ، بل لابد من نسيج حى لكى تنمو فيه ، وقد اثبتت المشاهدات المعملية ان الفيروسات تسكن نواة الخلية الحية حيث تندمج مادتها مع مادة النواة



حتى اذا ما اتخذت الأخيرة شكل الخيوط الصبغية « الكروموسومات » تمهيدا لانقسام الخلية انقسمت معها بالضرورة المادة الفيروسية وبذلك تكتسب الأخيرة صفة الانقسام أى خاصية التكاثر المميزة للكائن الحى .

والمهم على اية حال أن نعرف بعض الأمراض الفيروسية التى تصيب الانسان وفى مقدمتها الكلب والحمى الصفراء والجدرى .

اما عن الجانب الثانى فقد روى المؤلف فى فصلين ممتعين من الكتاب تحت عنوان « العين السحرية » و « الميكروبات تتوالد » كيف بدات معرفة الانسان بالميكروب بطريق الصدفة حوالى عام ١٦٦٥ عندما كان لوفنهوك — وهو رجل هولندى كان يعمل فى متجر قماش — يلهو بالنظر فى ميكروسكوب بدائى قام بصنعه (وقد تولدت لديه بحكم وظيفته المنحصرة فى فحص الياف المنسوجات بعدسة يدوية هواية مشاهدة الأشياء مكبرة ودفعه هذا الى تعلم صناعة العدسات) وخطر له ذات يوم ان يفحص قطرة من المطر المتجمع فى الحديقة فوجدها لدهشته تموج بكائنات دقيقة متحركة ... وهكذا أصبح وجود الميكروبات حقيقة منظورة .

الا ان مصدر الميكروبات ظل مجهولا مع ذلك . فقد كان المعتقد السائد حتى ذلك الوقت ان الضفادع والديدان والحشرات تتولد من الطين والأوساخ — وهى حيوانات كبيرة يسهل متابعة تطورها ومعرفة أصلها — فما بالنا بالميكروبات التى لم تتضح للعين الا بعد تكبيرها ثلثمائة ضعف ! .. وقد رسخت مثل هذه العقيدة الخاطئة عن أصل الميكروبات نتيجة للتجارب الفجة التى قام بها نيدهام Needham البريطانى بعد ان لاحظ تولد الكائنات الدقيقة فى حساء اللحم الذى حاول تعقيمه فلم يفلح فاعتقد ان هذه الكائنات تنشأ من الحساء كما تنشأ الضفادع من الطين ... ولكن هذه الخرافة لم تقنع العالم الايطالى سبالينزانى Spallanzani الذى قام بتطوير تجارب نيدهام متخذا كل الاحتياطات لمنع تسرب الميكروبات الى الحساء وذلك بغليه عدة ساعات ولحام زجاجاته على النار بعد الغليان مباشرة ، وبذلك تأكد لديه بما لا يقبل الشك ان الميكروبات لابد وانها تتسرب من الهواء وان الحساء ماهو الا وسط غذائى صالح لنموها وتكاثرها ... وهى العقيدة الراسخة حتى يومنا هذا .

وفى فصل عنوانه « صائد الميكروبات » يبين لنا المؤلف كيف بدات دراسة الميكروبات تتخذ شكلا علميا منظما على يدى العالم الألمانى روبرت كوخ Robert Koch منذ أقل من مائة عام وكيف ان الطرق التى ابتكرها هذا العالم واستخدمها بدقة وعناية فى اقتناص الميكروبات من الحيوانات المريضة وتربيتها وفحصها وتتبع نشاطها داخل جسم الحيوان وخارجه قد ادت الى تحديد الأنواع المسببة لثلاثة أمراض خطيرة هى السل والكوليرا والجمرة الخبيثة .

أما بالنسبة للجانب الثالث من البحث ، وهو الجانب الرئيسى الذى يشغل باقى فصول الكتاب فقد تابع المؤلف الصراع الدائر بين الانسان والميكروبات المسببة للأمراض داخل جسم الانسان وخارجه .

اما داخل الجسم فان الصراع يتم دون تدخل من الانسان ، فقد زود الجسم بالأسلحة اللازمة للمقاومة ، والتى تتمثل فى ثلاثة خطوط للدفاع ضد الميكروب أولها الجلد — ودوره وقائى صرف ويكاد ينحصر فى منع الميكروب من التسلل الى داخل الجسم — فاذا ما نجح الميكروب فى الغزو فهناك خط الدفاع الثانى وهو الدم حيث

تبدأ المعركة الحقيقية بين الميكروب وكريات الدم البيضاء التى تحاصره وتكون مهمتها على جانب من التخصص وتوزيع العمل ، فمنها مايفرز من المواد ما يقتل الميكروب ومنها ما يعادل أثر السموم التى يفرزها ، ومنها ما يبتلع الميكروبات بحالها .. وعلى ذلك يمكن القول بأن وظيفة الدم فى المعركة دفاعية وهجومية فى آن ... اما اذا لم ينجح الدم فى اهلاك الميكروب فهناك خط الدفاع الثالث وهو مؤلف من بعض الأحشاء الحيوية كالكبد والطحال ونخاع العظام التى يمكن اعتبارها « مخازن الذخيرة الحية » ، التى تمد الدم بحاجته من الكريات البيضاء ، وهناك ايضا الغدد الليمفاوية التى تلتقط ما يمر بها من الميكروبات أثناء الدورة الدموية وتأسره وتقوم بدور المقاومة السرية .

وهكذا نرى ان الصراع داخل الجسم صراع لا ارادى وجل مهمة العلم فيه مجرد الاحاطة به ومتابعته واعادته الى ميزانه الطبيعى اذا اختل هذا الميزان ...

اما المعركة خارج الجسم فهى معركة منظمة تتم بتدخل كبير من الانسان بعد اعتماده على العلم بكثير من الحقائق التجريبية الهامة التى سيأتى ذكرها فى مواضعها ، ويدور الصراع على هذا الأساس فى ثلاث جبهات .

اولا ــ مكافحة الحشرات الناقلة للأمراض :

وهو صراع يعتمد على علم الانسان بطريقة انتشار الأمراض وقد ضرب المؤلف لهذا النوع من الصراع مثلين واضحين هما مكافحة الحمى الصفراء والملاريا (والأول كما قدمنا مرض فيروسى والثانى راجع لحيوان أولى جرثومى) .. وقد ظل الانسان قرونا طويلةعاجزا امامهما .. وذلك بسبب جهله طريقة انتشار هذين المرضين اللذين راح ضحيتهما بعض رواد العلم وتعطلت بسبب أولهما مشاريع عمرانية ضخمة لسنوات طويلة ، كما اباد الثانى جيوشا بأكملها وظل حتى اليوم عائقا دون الانتعاش الاقتصادى فى بلد كالهند ... وظل الحال هكذا حتى اماط العلم اللثام عن ان هناك عاملا وسيطا بين الانسان وبينهما هو البعوضة تلك الحشرة الدقيقة كالابرة التى ينقل نوع منها يسمى « الأنوفيل » جراثيم الملاريا ونوع ثان يسمى « ايدس » فيروس الحمى الصفراء دون أن يصاب هذا أو ذاك بالمرض بل يظل قادرا على توزيع المرض بين الناس طول حياته ... وبهذا الكشف أصبح من الضرورى توجيه المعركة ضد البعوض نفسه ، فبدون هذا تظل محاولة الانتصار على المرض ضربا من العبث . وتتم مقاومة البعوض اما باستعمال المبيدات الحشرية او بردم البرك والمستنقعات حيث يتوالد ، أو بتسميم مياهها لقتل يرقاته ، أو بتربية أسماك الجامبوزيا فيها لما عرف من شراهتها فى افتراس هذه اليرقات .

ولا شك ان اكتشاف دور البعوض فى نقل الملاريا والحمى الصفراء قد فتح المجال امام العلماء للبحث عن دور الحشرات عموما فى نقل مختلف الأمراض ، وهكذا تحددت العلاقة بين البرغوث والطاعون ، وبين القمل والتيفوس ، وبين الذباب وعديد من الأمراض البكتيرية والفيروسية ، وقد اصبحت هذه الدراسات علما قائما بذاته هو علم الحشرات الطبية .

وفى الوقت نفسه تطورت ابحاث مكافحة الحشرات التى اصبحت جبهة جديدة وحيوية فى الحرب بين الانسان والميكروب ، استخدم فيها العلم سلاحا لا يقل فاعلية عن الأسلحة التى زودتنا بها الطبيعة فى اجسامنا للوقاية من الميكروبات ..

ثانيا : مكافحة الميكروب باللقاحات والامصال :

وهو صراع يعتمد على استغلال خاصية مدهشة من خصائص الدم ، وهى انه اذا ما دخله جسم



غريب فانه ينتج مواد خاصة تسمى بالأجسام المضادة « Antibodies » تبطل مفعوله الضار ، ويستمر الدم فى افرازها فترة من الوقت (حتى بعد انقطاع دخول الجسم الغريب) يظل الجسم خلالها محصنا ضده ، وقد ثبت علميا ان البكتريا والفيروسات تحوى خليطا من الأجسام الغريبة (Antigen) يتكون لكل منها الجسم المضاد

الخاص به بمجرد دخول البكتريا فى الجسم ..
وعلى أساس هذه الحقيقة تصنع الطعوم او اللقاحات Vaccins والامصال Antisera . اما اللقاح فليس الا محلولا مخففا من الميكروبات التى يراد التحصين ضدها على ان تكون مقتولة او منهكة (ويتم ذلك بالحرارة او الكيماويات أو الأشعة فوق البنفسجية) بحيث يتغلب الجسم عليها بسرعة . فاذا ما حقن هذا المحلول فى الدم انتج الأخير كمية من الأجسام المضادة للميكروبات الموجودة فيه تكفى لتحصينه ضد المرض الذى تسببه هذه الميكروبات فترة معقولة من الوقت . ولقد توصل العلم اخيرا الى معرفة مكونات الأجسام الغريبة الموجودة فى بعض انواع البكتريا وتحضيرها نقية للتطعيم بها ، وثبت انها اكثر فاعلية لنقاوتها واقل خطرا لعدم احتوائها على الميكروب نفسه ، ومن امثلتها اللقاح المعروف باسم « PPD » الواقى ضد ميكروب الالتهاب الرئوى . (واضح من هذا الشرح ان اللقاحات تستعمل للوقاية لا للعلاج) اما الأمصال فهى مستحضر لأجسام مضادة جاهزة تحقن فى الدم فى حالة الاصابة بالميكروب فتساعده على التغلب عليه ، ويحضر المصل المضاد لميكروب معين من دم حيوان او انسان منيع ضد هذا الميكروب (وهودم يحتوى على الأجسام المضادة للميكروب) سواء أكانت هذه المناعة قد تولدت طبيعيا باصابة سابقة أم احدثت صناعيا بتطعيم الحيوان باللقاح الخاص ، وتستخدم الخيول عادة لتحضير الأمصال لقدرتها على انتاج الأجسام المضادة لميكروبات أمراض عديدة وعلى تحمل تكرار



عملية التطعيم ، ويمكن اعداد مصل مختلط لعدة أمراض اذا تم تطعيم الحصان بالكائنات المسببة لهذه الأمراض فى وقت واحد .

وواضح من هذا ان الأمصال تستعمل للعلاج لا للوقاية . الا انها احيانا تستعمل كنوع من الوقاية فى ظروف التعرض الأكيد كما فى حالة انتشار الأوبئة .

هذه هى الفكرة العلمية للامصال واللقاحات وهى فكرة لم يتسع هذا الكتاب المبسط لشرحها ، الا ان المؤلف قد تتبع الصراع بين الانسان والميكروب عن طريق استخدام اللقاحات الواقية من عدة أمراض والتى يرجع الفضل فى اكتشافها الى العالم الفرنسى الكبير لويس باستير Louis Pasteur الذى يمكن تسميته بحق « مروض الميكروبات » ، وقد خصص المؤلف لقصة حياة باستير ومعاركه مع الميكروبات فصلا كاملا بعنوان «صانع اللقاحات» ، يروى لنا فيه كيف اكتشف ظاهرة المناعة فى حيوانات التجارب ضد ميكروبات ثلاثة امراض خطيرة هى الكوليرا والجمرة الخبيثة والكلب «السعار» وكيف طبق نتائج اكتشافاته فى علاج هذه الأمراض بنجاح منقطع النظير وكأن السماء تقود خطاه لانقاذ البشرية ... والمدهش ان باستير قد وفق فى اكتشاف اللقاح الواقى من مرض الكلب وتحضيره قبل اكتشاف الفيروس المسبب له ... والذى يدعو الى الاعجاب ان هذا العالم الانسانى بدا المعركة الحقيقية ضد الأمراض الميكروبية بعد ان اصيب بانفجار فى المخ تركه مشلولا شللا نصفيا وهو شيخ فى الستين من عمره . ولعل هذا كان حافزه الملح للحرص على انقاذ البشر من ويلات الأمراض فى عزم واصرار وايمان ، فواصل كفاحه المستميت وهو يحلم بعالم بلا امراض .

ثالثا : مكافحة الميكروب بالمضادات الحيوية :

وصراع الانسان مع الميكروبات فى هذا المجال يعتمد على استغلال الحرب الدائرة فى الخفاء بين الميكروبات بعضها البعض فى سبيل تنازعها البقاء ، وذلك بأن يسلط على الميكروبات الضارة اعداءها من الكائنات الدقيقة الأخرى ، ولم يتم اكتشاف هذه الظاهرة العجيبة فى دنيا الكائنات الدقيقة الا حديثا وعلى وجه التحديد فى عام ١٩٢٩ عندما لاحظ الباحث الانجليزى الكسندر فلمنج الذى كان مشغولا آنذاك بدراسة مزارع البكتيريا أن نوعا من الفطريات — تسلل بالصدفة الى احدى هذه المزارع — قد أوقف نمو البكتيريا من حوله ، وتبين له

بالتجربة ان هذا الفطر يفرز سائلا خاصا أصفر اللون هو الذى يشل نمو البكتريا ، وقد نجح فلمنج فى استخلاص هذا السائل وحقن به فارا مصابا بمرض بكتيرى فشفى منه بسرعة مذهلة وقد أطلق على هذا الإفراز اسم « بنسيلين » نسبة الى اسم الفطر الذى يفرزه وهو Penicillium notatum ... ويروى المؤلف كيف قوبل اكتشاف البنسيلين فى موطنه الأصلى بالفتور واللامبالاة عشر سنوات كاملة حتى أعلن عن اكتشاف مادة التيروثريسين عام ١٩٣٩ — وهى افراز نوع معين من البكتريا يقتل أنواعا اخرى من البكتريا ، عندئذ انتبه العلماء الى اهمية هذه الافرازات التى تسمى فى مجموعها بالمضادات الحيوية « Antibiotics » ، ورجعوا الى ابحاث فلمنج عن البنسيلين ، وعلى الرغم من التأكد عمليا من فائدة البنسلين فان انجلترا التى كانت مشغولة ومرهقة ماديا بالحرب الثانية لم تستطع ان تمول بحوثا لانتاجه ، فسافر العلماء الانجليز ومن بينهم فلورى الذى التقط ابحاث فلمنج وطورها الى امريكا التى تبنت الاكتشاف وانفقت ثلاثين مليونا من الدولارات على ابحاث انتاج البنسلين على نطاق تجارى حتى اصبح هذا العقار السحرى فى متناول الجماهير عقب الحرب العالمية الثانية بعد ان كان العالم كله لا يملك منه سوى ملء ملعقة شاى . وقد كان للبنسلين أثره السحرى فى علاج كثير من الأمراض الميكروبية وفى مقدمتها الزهرى والسيلان — وهما من اقدم الأمراض البشرية — ومعظم الحميات والالتهابات وتلوثات الجروح مما أنقذ آلاف الجرحى من ضحايا الحرب ... وثبت انه يفوق اقوى المطهرات البكتيرية ، كما انه احدث انقلابا هائلا فى العلوم العلاجية التى ظلت تعتمد فى مكافحة الأمراض الميكروبية على مركبات السلفا فظهر ان البنسلين يفوقها مرات فضلا عن خلوه من الأثر السام لهذه المركبات .

وقد كان اعلان النجاح الهائل الذى حققه الطب باستعمال البنسلين حافزا على استخلاص مزيد من المضادات الحيوية التى ظهرت فى تتابع مذهل السرعة حتى لقد اكتشف خلال ٤ سنوات (من ١٩٤٥ الى ١٩٤٩) تسعة مضادات حيوية جديدة أشهرها الكلورومايستين والاستربتومايسين والأورومايسين والتيومايسين (وهى افرازات فطرية) والبوليمكسين والباسيتراسين (وهما افرازان بكتيريان) اصبح لكل منها استعمالاته الخاصة وعيوبه المقترنة باستعماله مثل تسمم الدم فى حالة التيروثريسين ، وتسمم الكليتين فى حالة البوليمكسين ، وخطر الصمم فى حالة الاستربتومايسين) ...

ورغم تعدد المضادات الحيوية فانه أطلق على عصر اكتشافها اسم عصر البنسلين نظرا لاتساع دائرة الأمراض التى يعالجها وقلة عيوبه بالنسبة لغيره كما ان انتاجه على نطاق واسع صادف وقت الحرب العالمية الثانية حينما كانت البشرية فى أمس الحاجة الى عقار سحرى ينقذ أرواح الآلاف الذين امتلأت بهم مستشفيات أوروبا وأمريكا .

هذه هى بعض فصول قصة الصراع بين الإنسان والميكروب كما يرويها الكتاب ولا شك انها قصة مليئة بالتضحيات والدروس الحية فى التفانى والأمانة العلمية والتكاتف واستهداف الخير وهى صفات لابد من توافرها فى كل باحث يفرس بذرة المعرفة ويتعهدها شجرة وقد يموت وهو لا يدرى من سيجنى ثمارها من بعده ؟؟

د . عفيفى محمود

الدكتور خالد

تأليف
أحمد حسين



الناشر : دار القلم ٥٩٤ ص
٢٠×١٤ سم الثمن ٦٠ قرشا

اذا كانت القصة العربية ترغب فى أن تأخذ مكانها « الانسانى » فى الأدب العربى فلابد أن تكون مرتبطة بالحياة . فاذا ارتبطت بالتاريخ الوطنى كان مجالها فى الحقيقة عالميا يؤهلها للترجمة الى اللغات المختلفة ، ويكتب لها البقاء الطويل ، واذا كانت « القصة » عندنا تمر هذه الأيام بأزمة عاتية وتواجه جوا مضطربا فذلك لأنها تقصر عن هذا « الخط الأساسى » وتبعد عنه ولذلك فنحن نرحب ـ وان لم نكن من نقاد القصة ـ بمثل قصة (الدكتور خالد) التى ظهرت بالأمس للاستاذ أحمد حسين المحامى لأنها تمثل النموذج الذى نتطلع اليه لقصتنا العربية وهى تشق طريقها الى المجال العالمى والانسانى ، حين تربطنا بالحياة وبدقائق التاريخ وتقدم لنا صورة حياتنا فى قالب فنى رفيع .

وقصة « الدكتور خالد » هى الشقيقة الثانية لقصة « ازهار » التى صدرت فى العام الماضى ، وأثارت نقدات كثيرة ، ولفتت الانظار بهذا الطابع الجديد التى ـ تحاول القصة العربية ان تشق طريقه ، ومن هنا استأهلت ان تلقى ذلك التقدير الواسع العميق الذى لقيته من عديد من الكتاب والنقاد ـ ثم اتيح لها من أجل ذلك ان تذاع فى الراديو فى حلقات الساعة الخامسة والربع حيث استمع اليها الكثيرون ممن لم يتح لهم أن يقرءوها وأن تعد للسينما من بعد .

ولقد كان الذين قرءوا « أزهار » ينتظرون بشغف الحلقة الثانية لتاريخ مصر فى فترة دقيقة من حياة هذه الأمة لم تستكمل كتابتها من الناحية التاريخية الا بقدر محدود ، فقد كانت الحياة السياسية المصرية قبل الحرب العالمية الثانية مضطربة أشد الاضطراب مليئة بالأحداث والتيارات . كانت الأحزاب السياسية القديمة التى بدأت فى أوائل الحرب العالمية الأولى تحكم وتسيطر وتتداول السلطان فيما بينها ثم لم

تلبث الثلاثينيات ان كشفت عن قوى شابة جديدة اخذت تدخل مجال العمل فى قوة ويقظة وتشق طريقها من مجالات العمل الوطنى فى مشروع القرش واعادة الثقة بالوطنية بعد ان حولت السياسة كل شىء الى مناورات ومضاربات ، ثم علا ذلك الصوت واتسع نطاقه واحدث دويا ، واخذت الحياة السياسية المصرية تضطرم بعديد من القوى الشابة العاملة، وهى تحمل فى اعماقها السخط على ما وصلت اليه مصر اذ ذاك من احتراف سياسى واضطراب اجتماعى . ثم لم تلبث نذر الحرب العالمية الثانية ان بدت فى الأفق ، هنالك وقفت قصة «أزهار» لتترك لشقيقتها ان تحكى مرحلة اخرى ، اختار لها كاتبها فترة الحرب العالمية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) وكان قد وعد بأن يجعل اسمها « محطية الملك » ثم تحول عن هذا الاسم الى اسمها الجديد « الدكتور خالد » فقد كان هذا الشهيد الخالد، هو حجر الرحى فى هذه القصة وكانت حياته القصيرة الغريبة المليئة بالأحداث والرؤى والتضحية والكفاح جديرة بأن تخلد على هذا النحو ، واذا كان لنا ان نكشف الستر عن هذا البطل الذى دارت حوله القصة فهو الدكتور « مصطفى الوكيل » خير من قدمت بلادنا من شباب . وذلك النموذج الرائع فى خلقه وكفاحه وعلمه .

غير ان بطولة « الدكتور خالد » الذى اطلق اسمه على القصة ليست هى كل شىء فى القصة وانما تكون القصة فى حقيقة امرها صورة كاملة دقيقة لحياة مصر والعالم خلال فترة الحرب ، وكيف بدات الحرب واضطربت لها مصر ، ثم كيف واجهت الاحداث فى تطورها ، وتغير الوزارات ، ومؤامرات الاحتلال وحادث ٤ فبراير وكيف مضى مصطفى الوكيل « الدكتور خالد » ليعمل فى بغداد ويربط كفاح امتين عربيتين لهما تاريخ اصيل وماض مؤثل مشترك وكيف اتسع به نطاق الحركة الوطنية ، فما ان بلغ الدكتور خالد بغداد حتى ساهم فى ثورة رشيد عالى الكيلانى التى هزت بريطانيا ، وكان من نتيجة ذلك ان أوقع الحرج بالعاملين من زملائه فى مصر فتلقفتهم المعتقلات وهرب منهم من هرب ، واختفى من اختفى ، واتسع نطاق القصة حتى شمل الأحداث كلها ، هذا « عزيز المصرى » وهو يزمع السفر بطائرة خاصة من خارج مصر ثم تسقط الطائرة قرب بلبيس ، ويختفى عزيز المصرى ثم يكتشف مخبؤه فجأة بحادث صغير . ويقبض على هؤلاء واحدا واحدا ثم تتطور الحرب العالمية ويتحول الموقف ، فالجيوش التى كانت تزحف فى الصحراء الغربية تجاه مصر حتى تصل العلمين ، وتهتز لها مصر وتترقب احتلالا جديدا من دول المحور (ايطاليا — المانيا) ثم لا تلبث هذه القوات ان تتراجع مرة اخرى وان ترتفع اسهم الحلفاء على دول المحور، ويسقط هتلر ويذهب « مصطفى الوكيل » من العراق الى تركيا ثم الى المانيا حيث يقيم أيام الحرب . فلا يعرف من اخباره شىء حتى تعلن الهدنة وتتوقف الحرب ، ويعود الأسرى والمهاجرون ، ثم يكتشف انه قد استشهد ، فى قصة طويلة من كفاحه ونضاله من أجل مصر والأمة العربية ، هنالك تتأثر اعصاب صاحبه مؤلف القصة الى الحد الذى لا يمكن تصويره على النحو الذى يوفى على الغاية الا حين يطالعه القارىء فى صفحات هذه القصة الرائعة ، التى تعطى صورة مفصلة حقيقية دقيقة لمصر والعالم العربى خلال هذه الفترة الدقيقة من حياة بلادنا فى ٦٠٠ صفحة ، فى ذلك القالب الرائع الذى التزم دقائق فنية القصة وعقدتها . فقد انتظمت القصة صورة من الحياة ، كاملة حية ، فى مواجهة الأحداث . غيبة المجاهد عن اهله وهجرته ، وتخفيه فى هذه الصورة أو تلك بعيدا عن أعين الرقباء ، وفى ادغال القرى ، وفى اطراف المدن ، حيث كل صوت رقيق مزعج ، وكل نقر على الباب يحمل خبرا مثيرا ، وحيث تضطرب الأعصاب وتعيش قلقة ارقة ، لا تعرف النوم ، تترقب كل تطور يقع والحرب العالمية التى ظن انها ستنتهى قريبا ، يتسع نطاقها ويطول أمدها ست سنوات ، تتقلب فيها الأمور، وتواجه مصر فيها عديدا من التطورات والأحداث ، وهكذا تمضى قصة الدكتور خالد فترسم صورة كاملة لكل هذا . فى اطارها الفنى الدقيق الذى يلتزم أصول الفن ،ويجرى

فى الطاقة غاية فى الدقة والعمق والبساطة وقد حولت الأحداث والتاريخ الى عمل فنى انسانى يعيش ويمتد مع الزمن ويفوق ما يكتب عن طريق المذكرات السياسية أو اليوميات. وقد استطاع - كاتب القصة ان يضيف الى عمله مزيدا من القدرة الفنية والحبكة الدرامية الدقيقة حتى بلغ بالقصة الى الذروة ، واستطاع ان يقف فى صف القصاص الانسانيين الذين قرأ لهم واحبهم وتأثر بهم امثال تولستوى وتشارلز دكنز .

وانى لاذكر كيف لقيت الأستاذ احمد حسين فى دار الكتب فى أواخر عام ١٩٦٣ يراجع الصحف اليومية خلال فترة الحرب وجرى بيننا حديث عن السر فى اختياره هذا المنهج فى كتابة تاريخ مصر خلال هذه الفترة الدقيقة من حياتها هذه الفترة التى لم يؤرخ لها بعد ، فقد توقف العقاد فى كتابه عن سعد زغلول حتى وفاته عام ١٩٢٧ وتوقف الدكتور هيكل فى مذكراته حتى عام ١٩٣٦ ، وكتب عبد الرحمن الرافعى تاريخ هذه الفترة فى كتابه (فى أعقاب ثورة ١٩١٩) على النحو الذى اختاره المؤرخ الكبير . وبقى ان تكتب على نحو فنى يكشف عن جوانب الصورة من وجهة نظر الذين شاركوا فيها فعلا ، وكان لهم فى احداثها دور . فلا شك ان دراسة هذه الفترة ضرورى لفهم العوامل الأساسية التى من أجلها برزت الثورة المصرية العربية الكبرى التى انبثقت فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وقد استطاع الأستاذ احمد حسين أن يقنعنى بأن كتابة تاريخ مصر على هذا النحو الفنى الذى اختاره فى قصة « أزهار » هو النهج الأصلح وقد ارتضاه لأمرين (الأول) ان القصة هى الفن الذى اختاره كبار الكتاب العالميين فى اعطاء الأحداث التاريخية قوة الحياة فى اطار صورة انسانية كاملة . (والثانى) ان المذكرات السياسية لا تلقى من القراء من يعنى بها الا صفوة قليلة من الباحثين . اما القصة فانها تجد مجالا واسعا بين الشباب الذين هم فى حاجة الى أن يعرفوا تاريخ هذه الفترة من حياة امتهم .

ولقد عاش « أحمد حسين » منذ هذه اللحظات كتابة قصته وطبعها ومراجعة جذاذاتها حتى استوت بالأمس « بشرا سويا » على حد تعبيره ونحن الآن فى أواخر عام ١٩٦٤ ، وهى تمثل الكتاب (الخامس والعشرين) فى انتاجه المستفيض النافع ، الذى بدأ منذ ثلاثين عاما وامتد على الزمن فى مجالات الكتابة السياسية والاجتماعية والقانون والرحلات والمسرحيات والترجمات ووصل القمة فى كتابه الفلسفى الرائع « الطاقة الانسانية » .

ولا يستهوينى من كتابات احمد حسين بعد عمله الضخم التاريخى الفنى الذى تمثله حلقات (أزهار . الدكتور خالد .. « قصته الثالثة » التى تستوعب الفترة ما بين نهاية الحرب حتى قيام الثورة والتى لم يسمها بعد) أقول لا يستهوينى الا كتابته عن « الرحلات » فقد اتيح له ان يذهب فى آفاق العالم مشرقا ومغربا وصدر له فى الماضى عديد من الكتب عن رحلته الى الجزيرة العربية وآسيا والهند والسودان. ولكنى على يقين من ان هذه الرحلات التى سجلها والرحلات التى لم يسجلها تصلح لأن تكون عملا فنيا مرتبطا نافعا فى تقديم انطباعاته عن حياة وافكار وصور هذا العالم الذى زاره وعاش حياة اهله . هنالك يكون قد قدم لنا عملا جديدا فى مجال قل وارده . وهو فن كتابة الرحلات . تحية للكاتب العربى الذى قدم عملا فنيا تاريخيا اضاف الى فكرنا العربى صورة ثرية من حياتنا.

أنور الجندى

الكوميديا الإلهية

المطهر

تأليف: دانتى اليجييرى
ترجمة: د. حسن عثمان

الناشر: دار المعارف - ٤٩٥ ص
١٧×٢٤ - الثمن ١٢٠ قرشا

صدر هذا الكتاب الذى يكون القسم الثانى، من الكوميديا الالهية التى كتبها الشاعر الايطالى الكبير دانتى اليجييرى فى القرن الرابع عشر، وحملت بين جنباتها نتاج خبرته فى الشئون السياسية والمسائل الاجتماعية، وهى صورة واضحة للآلام والمتاعب التى صادفته فى حياته. فعلى الرغم من ان صوته كان مسموعا لدى المجالس الرسمية فى فلورنسا فى السنوات القليلة قبيل عام ١٣٠١، حيث شغل خلالها عدة وظائف كبيرة، منها أنه كان قيما على الأشغال العامة، كما كان سفيرا لبلده، وعضوا فى مجلس السنيوريا وكان أيضا من بين الجماعات التى ما نعت فى امتداد السيطرة البابوية على فلورنسا، غير أن نشاطه قد أصيب بنكسة مميتة فى عام ١٣٠١ بعد وصول شارل دى ڤالوا الفرنسى، فكان ان حوكم غيابيا وتقرر نفيه على ان يقتل اذا حاول العودة الى بلده. كل هذا موضوع مستقل بذاته، وهو يشمل حياة دانتى وتراثه الانسانى، غير أن الذى يهمنا ونحن فى هذا الموقف الخاص بنقل هذا التراث الى اللغة العربية ق صورة أمينة مزودة بالكثير والكثير جدا من الحواشى والمقدمات والتذييل، نجده من الضرورى ان نقدم للقارىء العربى ما نعرفة عن المنهج والمجهود الذى بذل خلال فترة طويلة من الزمن لاخراج هذا التراث الانسانى الكبير الذى تركه دانتى بصفة خاصة فى الكوميديا الالهية التى تشمل ثلاثة اقسام، والتى ظهر منها بالعربية من ترجمة الدكتور حسن عثمان، الجحيم فى عام ١٩٥٩، والمطهر فى عام ١٩٦٤، ونرجو أن نرى القسم الثالث وهو الفردوس خلال السنوات القليلة القادمة ان شاء الله تعالى.

والمترجم قد استطاع أن يروض نفسه على هذا المجهود الشاق، الذى يحتاج الى الصبر كما يحتاج الى سلامة الذوق ورهافة الحس. وانه قد سار فى اعداد هذه الترجمة على المنهج الذى اختطه لعمله، وعمل فى صبر وهدوء لاعداد الترجمة فى مرحلتها الأولى ثم العودة الى مراجعتها مرة ثانية، وربما ثالثة أو أكثر، وهو يختار فى صياغة أناشيدها بالعربية من الالفاظ التى تحمل المعنى المقصود فى اللفظ الايطالى، وكم كان هذا صعبا لأنها قد كتبت أصلا باللغة التى كانت معروفة فى عصر دانتى، وبيننا وبينها اليوم أكثر من سبعمائة عام، دخلت عليها تطورات متعددة مما يتناسب مع مختلف العصور التى مرت. وكان هذا أيضا يتطلب الرجوع الى العديد من المصادر والمراجع فى مختلف أوجة النشاط الانسانى.

والموضوع الجدير بالأخذ به عن خبرة المترجم ورياضة الشاقة التى لم يكن للوقت فيها من أثر، والعمل على دراسته دراسة منهجية مقدرا مسئوليته أمام التاريخ. ومن الطبيعى أن تقديرنا لهذا المجهود الجبار الذى قدمه المترجم لبلاده لا يتأتى الا بالمقارنة بينه وبين الأعمال الأخرى التى صدرت عن التراث الدانتى واننا لا نوجه اللوم لهؤلاء فلكل منهم ظروفه الخاصة، التى سيطرت على توجيهه فى دراسته بينما نجد على العكس أن المترجم للكوميديا التى نقدم لها قد استطاع أن يسيطر على كل شىء، فأخرج كتبا ناقصة عن تراث انسانى كبير كان له أثره فى النهضة الثقافية فى العصر الحديث. وما زالت الجمعيات والهيئات الكثيرة المنتشرة فى انحاء العالم تقوم على دراسة هذا التراث الخالد، ولا شك فى أن العمل الذى قام به المترجم الدكتور حسن عثمان مما يشرف الشعب العربى بدخوله فى ميدان تعمل فيه مجموعات كبيرة فى كل بلد غربى، لذكرى شاعر كبير سلك مسلكا فى اخذه بالحقيقة السيكولوجية التى تقول ما معناه أن قوة الحكمة تحمل قوة

سرمدية فى الانتشار الواسع المدى وفى اخضاع جميع الاتجاهات التهذيبية التى يكشف عنها الزمن .

ونذكر فيما يلى للقارىء العربى ما كتبه استاذ جليل فى ايطاليا عن هذا الكتاب ، فقد عرض الدكتور فرنشسكو جابريلى ، مدير معهد الدراسات الشرقية فى جامعة روما فى مقال افتتاحى له فى صحيفة يومية ايطالية فى السادس من يناير الفائت ، تحت عنوان « عالم دانتى على ضفاف النيل » ومما جاء فيه منذ بداية هذا العام ، الذى تحتفل فيه ايطاليا بالذكرى السبعماية لميلاد دانتى ، كنت على يقين من ان صديقى حسن عثمان لن يتأخر عن تعريفى باخباره . وها قد جاءتنى من القاهرة ترجمة المطهر ، وهى الجزء الثانى من الكوميديا الالهية، وذلك بعد خمس سنوات من وصول ترجمة الجحيم الى . ومن المنتظر ان ينشر ترجمة الفردوس بعد سنتين ، وبهذا العمل الذى سيستغرق ثلاثين عاما يكون العالم المصرى قد اكمل للشعب العربى ترجمة أمينة جديرة بهذا التراث الدانتى وبالثقافة العربية .

وتعنينا بصفة خاصة شخصية المترجم الذى يمثل نوعا فريدا من الرجال فى بيئته ويمثل كذلك فتحا روحيا من جانب شاعرنا الكبير فى مجال الثقافة العربية الحديثة ، ولقد بدأ حسن عثمان فى حقل الثقافة الايطالية بنشر كتابه الأول عن « سافو نارولا » ولكنه ما ان دخل فى الدائرة السحرية من الفن الدانتى حتى لم يتمكن من الخروج منها أبدا ، وكرس كل نشاطه لدراسة دانتى والكوميديا الالهية .

واننى اذكره حينما رأيته منذ اعوام قليلة يرتدى ملابس بسيطة وكأنه مرتحل صوفى . وقد أخذنا نجوس معا شوارع روما القديمة وازقتها، والتى كان قد عرفها دانتى نفسه فى عام اليوبيل (عام ١٣٠٠ م) ، وقد اخذ يتحدث الى فى ايطاليته الرنانة عن دانتى .

لقد قام بجهود عظيمة فى دراسته لدانتى والكوميديا ، وسافر مرات عديدة الى ايطاليا والى اقطار اخرى حيثما وجد الى زيادة معرفته بدانتى سبيلا . وهو لم يتقن لغة دانتى القديمة فحسب لكنه تغلغل فى دانتى والكوميديا على الرغم من انه عربى مسلم شرقى يعيش فى القرن العشرين بحضارته الحديثة الجارفة . واستطاع بالدرس والصبر أن يصل الى اغوار الدراسة الدانتية ، فدرس الحضارة القديمة وحضارة العصور الوسطى الغربية والتراث المسيحى والثقافة الفنية والفلسفة واللاهوت وعلوم العصر فضلا



دانتى

عن درايته بآثار التراث الاسلامى والشرقى الذى كان سائدا فى ذلك الزمان .

وفى تقديرنا نحن الذين ظللنا مخلصين ومحبين لسحر اللآلىء النادرة ما علينا الا أن نمسك فى يد بالميزان ونضع على اعيننا العدسات المكبرة لكى نزنها ونتبين أضواءها الشفافة ، ونتذوق جمال عقدها المنثور حين نقرأ النثر الذى دبجه حسن عثمان فى ترجمته الرائعة .

ونحن الذين نعرف اللغة العربية يمكننا بسهولة عندما نقرأ ترجمة حسن عثمان أن نعيد فى أذهاننا بناء الثلاثيات الدانتية المنسابة كالماء النمير .

ولم يطمح حسن عثمان الى أن يقدم الى بلاده مجرد ترجمة لكوميديا توضع فى المتحف وتضاف الى شتى ترجماتها فى اللغات الأجنبية الأخرى ولكنه قدم لنا ترجمة نابضة بالحياة ، وستكون ذات أثر فعال فى ثقافة شعبه وعصره بتقريبه الى قراء العربية احدى القمم الشامخة من آثار الأدب والفن والعلم فى الحضارة الغربية .

ونحن لا يمكننا ازاء مجهوده العظيم الا أن نعبر له عن امتناننا واعترافنا بالجميل بالكلمات التى قالها دانتى نفسه فى الفردوس لبياتريتشى:

« ليست محبتى لك من العمق
بحيث تكفى لأن أقابل نعمتك بالنعمة ؛
ولكن فليستجب لذلك من يرى ويقدر »

الشاطر بصيلى

كتاب في الطريق

مع الدكتورة سهير القلماوى



وفى الطريق السابع .. أردت ان أعرف أين نحن من حقل الادب العالمى .. والى أى غاية من غايات الخلق الفنى نتجه ، وما نصيب كل لون من ألوان الابداع نهتم به فنحققه .. فلم أجد غير منارة من منارات الفكر ترشدنى الى الطريق .. وهأنذا استرشد بكل خطوة تتقدمها .. فتخطها كلمات .

جمال بدران

١ ـ فيم تفكرين الآن ؟

افكر عادة فى اشياء كثيرة دفعة واحدة وقلما تلح على فكرة بذاتها أمدا طويلا الا اذا وضعنا خطوطا عريضة وقلت مثلا انى أفكر فى الانسان وفى الحياة . ولكن هناك بعض الفكر تعاودنى من حين الى حين وتلح على فاذا أخرجتها مقالا او كتابا عادت تلح من جديد بشكل اقوى . فمثلا فكرة مفهوم المرأة فى العصر الحديث والأهم من ذلك مفهوما فى بيئتنا العربية وحول هذا المفهوم تتناطح مفاهيم وأجواء منها ماهو دينى ويأتى فى المرتبة الأولى ومنها ماهو مستورد أو غربى تد تغلغل فى حياتنا بشكل يلفت النظر ومنها ماهو مفروض بطبيعة عصر الآلة الخ . وفكرة أخرى تلح هى الجامعة وطلابها والمشكلات التى تتفاقم وأساسها مفهوم الجامعة والتعليم الثانوى وخلفيات المجتمع الخ .

٢ ـ هل نعتبر هذا الذى يشغلك الآن يقتصر على طلابك بالجامعة ، أم يتسع للقراء كافة على الصعيد العربى ؟

طبعا الذى يشغلنى فى المرأة والجامعة يتسع للقراء على الصعيد العربى يوم يخرج كتابا لا لأن الاحوال مشابهة فحسب ولكن لأنى أفكر فى المرأة وصور من كل بلد عربى تزحم خيالى . وكذلك الطلاب حتى ان نسبة عالية من طلابى ليست من ج.ع.م. انهم من البلدان العربية ومن افريقيا وآسيا وأوروبا وامريكا الخ .

٣ ـ ما مدى الصلة بين ادب يدرس بالجامعات وادب يتداوله الناس خارجها ؟

الأدب الذى يدرس فى الجامعات يدرس من خلال النظريات التى تبلورت بالفعل حديثها وقديمها . فقد ادرس فى الجامعة كتابا نفاه الناس وسخطوا عليه ولكنه يمثل ظاهرة أو ناحية من نظرية خير تمثيل . عندئذ أدرسه وهو ليس حقيقا من الوجهة الفنية أن يهتم به الناس . وكذلك ندرس الأدب فى مرحلة **ما بعد** التذوق النظرى الذى يتذوقه به الناس . ان الأدب ندرسه على انه نشاط انسانى متداخل فى دائرة الفنون كلها ومتداخل فى دائرة أوسع هى دائرة النشاط الفكرى للانسان بعامة ؛ وهكذا ندرس الأدب بنماذجه المختلفة وبعصوره المختلفة . والنماذج التى ندرسها وخاصة فى الأدب الحديث نماذج معروفة للناس وكل مافى الأمر اننا نحلل ونشرح ونختار من النماذج ما هو أكثر قابلية لهذه العملية . اما التذوق فلا فرق بين التذوق عند الدارسين والقارئين كل مافى الأمر ان نقطة الاهتمام كما أسلفت هى مابعد التذوق وكذلك نهتم كثيرا فى دراسة مرحلة ماقبل الابداع أو ماتم اثناء عملية الابداع حسبما يشهد النص الأدبى وهكذا .

٤ ـ اسهمت بنصيب وافر فى حقلى الأدب .. الانشائى منه والنقدى .. فما قدر اهمية كل نوع منهما لقارئى الأدب فى مرحلتنا الحاضرة ؟

الواقع اولا ان مساهمتى متواضعة جدا . وفى اعتقادى ان النقد هو عملية اسميها لطلابى « خادمة للنص الأدبى » والغاية منها هى ايجاد جو لابداع جديد أرقى وأفضل . الأدب الانشائى هو الأصل لأنه هو الذى تنطلق اليه طاقات الانسان الخلاقة اما النقد فهو يصقل الذوق ويمهد للنص الأدبى ان يؤدى دوره على صعيد أوسع وبطريقة أعمق والأهم انه كما أسلفت يمهد الى ابداع أنضج وأعمق وأحلى . ومرحلتنا الحاضرة لا تختلف فى هذا عن أية مرحلة تاريخية أخرى .

٥ ـ هل تلتزمين بمقاييس نقدية معينة عندما تشرعين فى ابداع عمل أدبى ؟ ماهى ؟ ام ان عملية الابداع الفنى تنطلق بلا قيود ؟

ان عملية الابداع الفنى تنطلق بلا قيود أثناء المرحلة الأخيرة من الابداع وأثناء الشرارة الأولى كما نسميها التى أذكت قريحة الأديب او الشاعر وأطلقت عقالها . ولكن بين الشرارة وبين التدوين او الابراز الى الوجود فى المرحلة الأخيرة تجرى فى نفس الأديب عملية معقدة تدرس ؛ ولكنها لا تزال معقدة . وفى هذه المرحلة تدخل قطعا فى عملية التنظيم تأثيرات لكل ما نعرف من النقد الفنى خاصة . الى كم تدخل وما هى والى اى غاية تقود هذه المسألة !! ان الابداع مزيج عجيب من وعى ولا وعى وكما يقول اليوت ان الشاعر الردىء هو الذى يعى فى مرحلة كان يجب الا يكون واعيا فيها ؛ ويغيب عن وعيه فى المرحلة التى كان يجب ان يكون واعيا فيها .

٦ ـ ان اهتمامك بالف ليلة وليلة وبالأساطير الشعبية يجعلنى أطمع فى معرفة هل الفن الشعبى قد خضع لمقاييس نقد ام انطلق معبرا بلا حدود .. وهل ندرسه لتقويمه ام لتعلمه وتعليمه ؟

ان اهتمامى بالأدب الشعبى كاهتمام أى دارس له ينبع من ايمان بأن هذا الأدب بعفويته وبساطة تركيبه يعبر عن عنصر خاص من عناصر وجدان الأمة . وأهمية الأدب الشعبى فى العالم العربى ضخمة بل هى أضخم من أهمية الأدب الشعبى عند كثير غيرنا من الأمم لأن الأمة العربية عاشت فى عصور انفصام العامة عن الحكام قرونا طويلة على هذا الفداء فأثر فى مزاجها وفى تذوقها .

والأدب الشعبى ليس له نماذج فن عليا تحتذى ، انه نموذج يستوحى ويدرس . قطعا له تأثير فنى جميل ولكنه كتأثير المنظر الطبيعى مثلا انه تأثير الطبيعة وليس تأثير الفن . والفرق بين الأدب الشعبى فى قصة مثلا وبين قصة فنية من الادب الرفيع فى نفس الموضوع (بشرط أن تكون ذات مستوى عال .) هو الفرق بين منظر غروب شمس على الطبيعة ومنظر غروب شمس انطلقته ريشة الفنان بالتعبير عن مأساة الفناء مثلا . فى الأدب الشعبى المتلقى جزء لا يتجزأ منه فى عملية الاخراج ذاتها يحور فيه ويغير لأنه هو الذى يبدع الى جانب الفنان الأصلى ولكن المتلقى فى الأدب الرفيع جزء مكمل لا جزء مشارك فى عملية الابداع والأدب الشعبى لا يخضع لقوانين فى حالة التكوين ولكننا نخضعه الى قوانين خاصة به عند دراسته .

٧ ـ سعدت بلحظات مع كتابين من كتبك العديدة هما ((أحاديث جدتى ، الشياطين تلهو)) ، وقرات لك كتابين آخرين هما ((مذاهب النقد الأدبى ، فن الأدب)) اى هذه الكتب اقرب الى قلبك وايها اقرب الى عقلك ولماذا ؟

احب كتبى كلها ولكنى لا اتعلق بها ولا اذكرها كثيرا وانا اكتب الجديد فاذا كان لابد من تفضيل ففى ادبى الانشائى افضل أحاديث جدتى وفى النقد افضل فن الأدب . لانى اعتقد ان احاديث جدتى قطعة من نفسى فى فترة من حياتى عزيزة على وان كانت كل قصة فى الشياطين تلهو قطعة من حياتى أيضا ولكنها قطع مفرقة . واما فن الأدب فيمثل دراسة متكاملة بينما فى النقد الأدبى كتاب الى حد ما تعليمى محيط بكل شىء فى ميدان بعينه .

٨ ـ لو خيرت بين اعادة طبع كتاب لك او ترجمته الى لغة عالمية .. فماذا تفضلين ؟ ولماذا ؟

أختار طبع كتاب الشياطين تلهو لأنه لم يحظ بعد باعادة طبع ولا بترجمة . أما أحاديث جدتى فقد ترجمه الأستاذ ماسيه عضو الأكاديمية الفرنسية وحظى بالطبع مرتين والثالثة فى الطريق . من باب العدل بين الأبناء .

٩ ـ شاركت بنصيب وافر فى ترجمة بعض الكتب الى اللغة العربية ومراجعة بعضها .. فما الذى نحتاج اليه الآن من ترجمات ؟

ان حركة الترجمة فى العالم العربى تحتاج الى تخطيط ودراسة . كم ذا من كتب ترجمت وكأنها لم تترجم وكم ذا من كتب ترجمت وليست بذات فائدة وكم ذا من كتب لابد من أن تترجم

ولم تترجم بعد . واعتقد ان مشروع ترجمة شكسبير بكل مسرحياته أول مشروع مخطط على نطاق الدول العربية . والمضحك هنا أن نسمع أصواتا تقول ان مطران قد ترجم شكسبير وان غيره قد ترجمه فما جدوى اعادة الترجمة والحقيقة هي هذا بالضبط أن شكسبير لم يترجم الا في هذه الترجمة المنظمة التي يشرف على لجنتها استاذنا طه حسين . فمطران مثلا ترجم عن الفرنسية أولا ثم حذف منها مناظر بأكملها مرارا وفقرات مرارا كثيرة ، وعدى بكل بساطة على اية صعوبة بالحذف . وما أثبت غير دقيق بالمرة . لقد ترجم للمسرح في عصره فأدى خدمة جليلة جدا . وفي ترجمته حلاوة أسلوب الشاعر ولكن الشاعر المبدع لا المترجم . واظن انه بعد تصحيح مفهوم الترجمة في زماننا لا يليق ان نعيش على ترجمات أدت غرضها يوما ما ، في أمر كاتب عالمي مثل شكسبير بواسطته نستطيع أن نفهم امة بأسرها ادق الفهم وان نفهم جزءا كبيرا من النفس الانسانية أعمق فهم .

ولما كانت الدول العربية كلها تتكلم بلغة واحدة ولما كان المترجمون الخليقون أن يترجموا قلة قليلة فلابد من تخطيط لتوفير الجهد . ان الالياذة (الياذة هوميروس مثل هملت مطران عيوبها كثيرة جدا في ترجمة البستاني .) والأوديسا لم تترجما الى اليوم . والترجمة يجب الا تقصر على آثار غرب أوربا وأمريكا والمانيا ولا حتى ايطاليا واسبانيا وانما ذخائر من المؤلفات الهندية والفارسية واليابانية والصينية يجب ان تزخر بها مكتباتنا ليثرى فكرنا من كل تيار واتجاه .

١٠ ــ أمن المستطاع ان نحافظ على اسلوب أدبي لمؤلف أجنبي عند ترجمته الى لغتنا ؟ كيف ذلك؟

المحافظة على الاسلوب هي التي جعلتني اقول ان المترجمين قلة . وهنا خلاف : هل أتنازل عن الدقة في سبيل ان اروج الكتاب عند قراء اللغة الثانية كما فعل مثلا فتزجيرلاد في رباعيات الخيام وجالان في الف ليلة أم ان الدقة مطلوبة لذاتها ؟ الواقع أننا يجب أن نفترض امكان الدقة والحلاوة في آن وهذا طبعا قليل نادر ولكن لابد من الدقة كمرحلة أساسية . ثم لا بأس من وجود عدم الدقة مع الحلاوة ولكن هذه ستكون أندر مما نظن لانها ستأتى من شاعر أو فنان ضل طريقه في لغته ووجد في اللغة الأخرى ضالته . وهذا ما يجعل كل ما كتبه فتزجيرلاد وجالان فيما عدا ما ترجما تافها مع ان لهما اسلوبا فذا خليقا بالخلق والابداع .

وهذا ما يوجد صعوبة يجب أن تراعى في التخطيط فليس من السهل ان تقول للمترجم الفذ : خذ ترجم لنا هذا لأن ثقافة أمتك محتاجة اليه . انه عادة هو الذي يختار ما يرتاح اليه وما يحب حسب ذوقه هو أن يترجم . وبهذا تخضع حركة التخطيط كثيرا من المترجمين الأفذاذ الذين يدخلون هم على التخطيط أذواقهم الشخصية ويفرضونها .

١١ ــ « العالم بين دفتي كتاب » كل من قرأ ترجمتك لهذا الكتاب أحس بالجهد الكبير المبذول في المحافظة على أسلوبه لكن هل يستطيع الكتاب ــ حقا ــ أن يضم العالم أجمع بين دفتيه ؟! كيف ذلك ؟

« للعالم بين دفتي كتاب » قصة قصيرة . طلب الى ان أترجمه فرفضت ان اترجم وقلت لابد من ان أؤلف على نسقه وعورضت الفكرة أول الأمر ثم رحب بها لما صممت على موقفى . والكتاب في الواقع مزيج من الترجمة والتأليف ولذلك تجد آخر كل فصل منه قولى بنى هذا الفصل على « مقال كذا » بمعنى أني استوحيت كل مقال في الكتاب واخذت ماهو رئيسي في فكرته ويفيدنا ، ثم طبقته كل التطبيق على أدبنا العربي وما كان يمكن الا أن يكون كذلك . من هنا كان الجهد فيه مضاعفا ومن هنا خرج مزيجا من ترجمة وتأليف .

والعالم اجمع تاريخه وعلمه وآماله وفكره يوجد بين الكتب أو كثير منه يوجد . والمأمول ان نؤلف أو ندون كل شيء عن العالم . فالعالم بين دفتى كتاب كما نأمل أن يكون وكما هو حاصل الى حد بعيد حقيقة صادقة .

١٢ ــ ان كل كتاب جديد لهو بمثابة لبنة من لبنات صرح البشرية العقلي .. فهل ننتظر جديدا من كتبك تحت الطبع ؟ ماهو هذا الكتاب الجديد ؟ وهل يصدر قريبا ؟

لست ادرى لماذا احس في هذه الفترة من حياتي انى لابد أن اكمل ما بدأت . ولقد بدأت كتابا عن المرأة ماذا هي ؟ وعن فن السيرة في الأدب الحديث . وعن فن الأدب جزء ٢ وجزء ٣ كما بدأت روايتين طويلتين ومجموعات من القصص القصيرة تضم ما نشر لي ــ وهو أكثر من ثمانين في الصحف والمجلات ــ وبين ما لم ينشر بعد وهكذا مشاريع كثيرة . عندى الآن نزعة ان أجمع أمرى على الانتهاء منها واحدة بعد الأخرى . لكنى احس انى مشتتة الجهود ، مبعثرة الاهتمام .

فالجامعة بطلابها تجذبنى واللجان القومية والسياسية والفنية تجذبنى . ولقد وصلت الى انى اما ان اعمل كل شىء او لا أعمل اى شىء ومعنى هذا انى مازلت أجد صعوبة فى الخلاص الى عملى الأول (طبعا بعد الأولاد) وهو التأليف. اما الكتاب الذى سأبدأ به فهو فن السيرة فى ادبنا الحديث .

١٣ هل أجرؤ على سؤالك عما تنتظرين له من نجاح ؟ ولماذا ؟

الحقيقة ان النجاح يسعدنى ولكنى لا أحب السعى اليه أو التفكير فيه لا لأن الذين يسعون اليه وحده لا ينالونه عادة ولكن لأن مفهوم النجاح عندى هو التجاوب التلقائى بين الكتاب وقارئه وهذا لا يد لى فيه ولا سعى ممكن فى سبيله . وانى أتوقع لكتابى هذا تجاوبا من القارىء لأنى أدرس الموضوع لا مؤرخة ولا ناقدة فحسب وانما متغلغلة وراء ذلك لأرى تطور النفسية المصرية والوجدان العربى كله من خلال التأليف فى هذا الميدان بالذات . ولو كشفت عن هذه النفسية وعن هذا الوجدان قناعا من الأقنعة الكثيرة التى تغلفه فان قارئى سيجد من نفسه هفوا الى هذا الذى يعده قطعة منه .

١٤ ــ لو قال القراء ان اجاباتك هذه تصلح نواة لكتاب جديد .. فهل تقبلين السير لاكمال مثل هذا الكتاب ؟ لماذا ؟

لو قال القراء ذلك لحاجتهم فى ذلك لأن الكتاب أهم من ذلك كثيرا لأنه يحتاج الى نواة يدور حولها أهم من شخصى وهذه الأسئلة تدور حول شخصى بل حول الجزء الزائل منه .

١٥ ــ ما رايك فى تضمين مثل هذا الكتاب وجهة نظرك فى آخر قصة لنجيب محفوظ بعنوان ((الشحاذ)) .. هل نعرفها مقدما ؟

قصة الشحاذ لنجيب محفوظ فى نظرى مازالت تدور فى فلك اللص والكلاب والطريق والسمان والخريف وغيرها من القصص الرامزة التى اتجه اليها الأستاذ نجيب محفوظ بعد الثلاثية . اتجاه يمثله فى نظرى باختصار ووضوح قصة ((الزعبلاوى)) القصيرة التى درستها لطلابى هذا العام فى ((السمنار)) او دروس المناقشة . انها تمثل حيرة انسان هذا العصر بعد أن ذابت من تحت رجليه صخرة الايمان الدينى العميق ولم يستطيع أن يتشبث بها . ثم راح يبحث عما يرده اليها أو عما يغنيه عنها . وقد يكون الايمان ليس دينيا وانما هو ايمان بالحياة أو بالانسان . وقصة الشحاذ تبين مرض عمر الحمزاوى الذى لا يعرف كنهه والذى لا يريد أن يسلم به أحد حوله والذى يدفعه الى طلب الراحة أو التوحد أو اللقاء الروحى المنعش الحياة فى جسده عن طريق تصرفات كثيرة فيفشل . انه فنان ضل طريقه فعملية الخلق لا تثبت له وجوده وهو ناجح قد ضل طريقه فعملية العمل غير الخالق أيضا لا تدله على طريقه فتضطرب حياته كلها زوجية وغير زوجية . ويموت آخر الأمر أو يفنى أو يستغرق فى الأحلام والرؤى فيجد نفسه او يخيل اليه انه قد فعل. انها كما قلت قصة الزعبلاوى المريض الذى لا يجد لنفسه الدواء تتكرر والفنانون يكررون الموضوع كثيرا فى مؤلفاتهم والمعالجة الطريفة الحديثة فى كل مرة هى سر الفن وسحره . أن الموضوع الملح كالموضوع الجديد يكسب الفنية لا من عنوانه وانما من معالجته . والمعالجة هذه المرة طريفة ولكنها تحتاج الى سؤال آخر أظنك لم تساله .

١٦ ــ سؤال أخير ــ ومعذرة ــ هل تشترطين لهذا الكتاب ثمنا عاليا أم لا . ؟ ولماذا ؟

كتابى لا اشترط له ثمنا ولا ادخل مع الناشر فى حسابات قط لأن الحسابات عدوى الأكبر حتى انى لا اعمل لنفسى حسابات الا فى شهر مارس لأقدمها للضرائب وهى طبعا مجملة وتقوم بها عنى المؤسسات والجهة الحكومية التى أعمل بها . لذلك اطلب دائما من الناشر أن يعطينى حقى مقدما مهما يكن وحسبما يرى دون اى كلام منى ثم أتركه هو والكتاب يتكفل بما يشاء فى أمره .

ان اول كتاب طبعته على حسابى وظلت دار التأليف والترجمة والنشر تحاسبنى فى أمره عشر سنوات كاملة فزهقت روحى وصممت بعد ذلك الا أنشر الا بطريقة واحدة وهى الانتهاء من الناحية المالية مرة واحدة ثم لا أشغل نفسى أبدا بعد ذلك بفكرة البيع والشراء .

ستقول حسب ثمن الكتاب تأخذين أجرك وطبعا قد تتعجب اذا قلت لك انى لم آخذ أجرا على كثير جدا مما كتبت حتى بعد أن عرف اسمى ولفترة طويلة . ولولا الضرائب لظل الأمر بينى وبين المال والأجور فوضى فانى أحب هذه الفوضى ولا زلت أمارسها وأحس بالراحة لها . ان بين الفنان الحق وبين المال علاقة معقدة نائمة يحيطها الناس كثيرا بمركبات نقصهم ان هذه العلاقة تحتاج وحدها الى كتاب فما رايك ؟؟

مى أديبة الشرق والعروبة

تأليف
محمد عبد الغنى حسن

الناشر : عالم الكتب – ٣٣٢ ص
٢٠×١٤ سم – الثمن ٤٥ قرشا

الأستاذ محمد عبد الغنى حسن من أفراد الكتاب المعدودين . شاعر المعى ، وأديب بارع . كثر ما قرأنا له الشعر الجـزل ، والمقـالات الحسان ، والفكر اللطيفة الدالة على سعة علم وقوة عارضة . اخرج لنا هذه الأيام كتابه الملم (مى اديبة الشرق والعروبة) فأسهب وفصل ، واجاد وأمتع . وغدا جيل اليوم ممن لم يعرفوا ميا ولا ذاقوا من ادبها وشلا ، وقد طواها الزمن عام ١٩٤١ ، اذا ما قرءوا كتاب الأستاذ ، غدوا لا يجهلون كاتبة اديبة وافرة الانتـاج ، كانت مدلهة بحب الشرق والدفاع عنه . نصيرة للمراة غيورا . تناضل من اجل بروزها ، ونهوضهـا من خمول اظلها زمانا طويلا .

كان هذا الكتاب قد ظهر فى عام ١٩٤٢ ، فى عقب وفاة مى باسم (حياة مى) مشتملا على مجموعة من الأحاديث ادارها الأستاذ يومذاك مع طائفة من مشهورى الكتـاب ورجال الأدب من أصدقاء مى ، ورواد ناديهـا الأدبى ، ندبه لهذا المهم الأستاذ فؤاد صروف ، رئيس تحرير مجلة المقتطف ، على ان تنشر فى المقتطف . وضم الى هذه الأحاديث شطرا آخر بحثـا عن مى وادبها .

وقد راى اليوم ان يخرجه فى طبعة جـديدة وثوب قشيب ، فالحق بكتابه الأول نماذج غير يسيرة من كتابتها وخطبها ، ورسائلها . فخرج كتابه هذا جديدا مستفيضا بهـذه الزيادات والمراجعات ، وسمه بعنوان جديد هو مى أديبة الشرق والعروبة .

وقد وقفنا من بحثه المنبسط على صـورة وافية لمى . فعلمنا انها ولدت فى فلسـطين ونشأت فى لبنان بانتقال والديها الى تلك الربوع حيث تلقت علومها فى مدرسة للراهبات . ولما ترعرعت ، واستظهرت بزاد العلم ، بدا منها ذكاء متوقد ، وبرزت مواهبها بنظم الشعر الفرنسى ، وبالخطـابة . ثم انتقلت الى مصر مع والدها الياس زياده ، فاشتهرت بالكتابة فى جـريدة المحروسة التى انشأها والدها ، وبمقـالاتها فى مجلة الزهور للأستاذ أنطون الجميل ، ومجلة المقتطف ، ولم تكف عن عمارة قلبهـا بالعلم ، بمواصلة الدراسة والتحصيل فى الجامعةالمصرية القديمة تحضر فيها المحاضرات .. كما تعلمت عدة لغات غير لغتها العربية كانت لها بها اجادة وبراعة .

وكانت والهـة بحب الطبيعـة تانس الى مجاليها وخلواتها ، وتصف مشاعرها بهـا بقلم الاعجاب والطرب . على انها كانت تغلب عليهـا



الكآبة منذ نشأتها ، وعاشت معها حتى مختتم حياتها .

وقد الفت عدة كتب بداتها بترجمة كتاب (ابتســامات ودموع) للكاتب الالمانى ماكس مولر . واشهر كتبها كتاب (باحثة البادية) ملك حفنى ناصف ، و (وردة اليازجية) .

وكانت مع سعة اطلاعها على الأفكار والآداب الأوروبية ، محافظة على تقاليد وعادات قومها ، مستمسكة بالعروة الوثقى بشرقيتها ، حريصة على نهضة الشرق ، واستعادة غابر أمجاده ، ولها دفاع حسن عن لغتها العربيــة والموسيقى الشرقية . وهى نفســها عازفة ومطــربة فى مجالسها الخاصة . وشاركت قولا وعمــلا فى نهضة المرأة الشرقية .

وتوالت الارزاء على مى بموت ابيهــا ، فموت أمها ، ثم بموت صديقها وحبيبها جبران خليل جبران . فوهنت قواها ، وانطوت على كمدها ، واشتملت على اليأس وكراهة الحياة . وحاولت ، مع ذلك ان تتسلى بالرحلات فى بعض أقطار أوروبا ، فلم يشف مابها . ولحقها مالحقها من السوداء والاختلاط ، فآوت الى العــزلة ، واغلقت ناديها الذى كان حافلا برجالات زمانها وافراد ادبائه . فحملت الى لبنان ، فى مستشفى هناك للأمراض العقلية ، الى ان استعادت بعض العافية . فرجعت الى مصر . ولكنها لم تنشب ان عادها الاختــلاط ، فنقلت الى مستشفى الأمراض العصبية بالمعــادى . ولم تزل تذبل وتنهار الى ان علقتها فأحالتها المنية شبحا محطما وما تجاوز الخامسة والأربعين . تلك زبد مجملة لما حواه هذا الكتاب النفيس من سيرة الكاتبة والأديبة مى .

وبعد فالى القول فى أمور ، واجالة التبيان لشئون ، والى جولة فى هنات لا يبرأ منها كتاب ولا كاتب . واى الرجال المهذب !

واما ما ورد عن كآبة مى وانطوائها على الكمد منذ اوليتها الى آخريتها ، فذاك لأنهــا طبعت على توقد الاحساس ، ورقة العاطفة ، وجموح الخيال ، وفوران الاعصــاب ، فى بدن هزيل مهزع ، غير صليب العود . ومن هذه حاله فهو كثير الأوهام جم الوساوس ، لا يحتمل الهزات العنيفة . مات أبوها ، وماتت امهــا ، ومات احبابها وخلانها ، فاعتورتها فترة ، وهزمتهــا الاحزان . ولو كانت ذات صلابة ومنة لقاومت ، ولاذت بالحكمة واستمسكت ، ولقالت كما قال مطيع بن اياس :

اســعدانى يا نخلتى حلوان
وارثيا لى من ريبهذا الزمان
واعلمــا ان ريبــه لم يزل يف
رق بين الالاف والجــيران

وحين اعصرت ، وامتلأت شــبابا ، تفتح قلبهــا للحب ، وحنت الى الحبيب والزوج ، وتحرقت على حياة الأسرة تكون فيها زوجــة واما ، فلم يتهيأ لها ذلك ولم تسعد . اخفقت فى حب جبران خليل جبران ، وكانت تطمع فى الزواج منه . وقد كان لها معه رسائل عديدة ، ولها به اعجاب جم وهوى مكين . وهى فى مصر ، وهو فى أمريكا متنائيين لا يجتمعان . كان حبــا نشأ فى فؤادها من طريق كتاباته . ولكن :

يا قوم اذنى لبعض الحى عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا

كانت قد بنت على حبــه أمانى ، وداعبت

آمالا ، وناجاها قلبها بالزواج يعقد بينها وبينه الأواصر — ولكنها انقلبت بخيبة (وكان حالها كما قال الشاعر :

وكنت وما املت منك كبارق
لوى من بعد ما كان غيما)

وكذلك أحبت الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى ، فلم تبلغ أمنية ، ولم تحظ برغبة هنية ، فلزمها هم لا ينجال عنها يطلقها طورا ، وطورا يراجع . كل هذا كان مصدر الكآبة التى لزمتها واستحرت بها فغمرتها . فكان مآلها وهن العقل ، ومرض الاعصاب ، وغلبة الكبت والسوداء عليها ، فالجنون ، فالموت المغتال المشئوم .

وجاء عنها انها رغم ويلات كثار حفت بها ، ورغم ماقرات من كتب الملحدين ، وآراء الدهريين ، لم تتزعزع عقيدتها ، بل لبثت شديدة الايمان ، شديدة الورع . وما فى هذا ؟ هكذا شأن المرأة . وهكذا فطرت . النساء عموما متدينات بطبعهن . ومهما بلغت المرأة من علم ؛ بل مهما زلقت فى مضاحد العهر والفجور ، فانها لا تخلع ثوب العقيدة ، ولا تجدها الا لاذة بالايمان ، متعلقة بأهداب الدين .

واشتهرت مى وذاع سمعها كاتبة مجيدة .

وفى رأينا انها وجدت فى جريدة ابيها المحروسة ذريعة سهلة متصلة لا تنقطع ، للوصول الى الشهرة سريعا . فليس يتهيأ لكاتب أن يكتب ما يشاء مسترسلا على الولاء ، بنشر مقولاته فى صحف ليس يملكها . فهى موزعة بينه وبين غيره من الكتاب ، وتتعرض لمعوقات أخر .

وجاء فى وصف قلمها وأسلوبها فى الكتاب ، انه اسلوب « غاية فى الاحكام » و « اسلوب لا مطعن فيه » ! و « اسلوب احتفالى » و « اسلوب خاص له طابعه ومميزاته جعلته فريدا فى الأساليب » .

بعض هذا ، ياسادة اصدقاء لى ، وياسيدى الاستاذ عبد الغنى ! مبالغة ماتصفون . غلو انزلقت فيه اقلامكم . انما نخيل مايقال فيه انه اسلوب سهل ، وسط بين النصاعة والجزالة ، وبين الاساليب الهزيلة الركيكة . اسلوب لم يرتفع الى طبقة الخاصة من البلغاء ، ولم ينزل الى حضيض العامة والكويتبين الأدنياء .

وثم مفامز ومطاعن . نتساءل مثلا ، وهى تكتب الى جبران خليل جبران ، من رسالة اليه ، فى صفحة ٢٤٨ من الكتاب : « انت قيدتنى « مذنبة » فى دفترك . وقمت تشكو لانى كلما حدقت فى شىء أخفيه وراء القناع ، وكلما مددت يدا اثقبها بمسمار .. نعم ! فعلت ذلك متعمدة . تعمدت قطع الأسلاك الخفية التى تغزلها يد الغيب وتمدها بين فكرة وفكرة ، وروح وروح . وصرت اصرف المعانى ، وافسح الأسئلة ، واضحك عند الكلمات التى تملأ العينين دموعا . »

نتساءل نحن والقارىء ، ما معنى هذا ؟ وما هذا الكلام ؟ اهى عبارات مرصوصة . قد نحسب أن لها معنى ، ولكن التركيب نزل عن منزلة البيان ، فاغمض واشكل .

ووزانة فى الغموض قولها فى صفحة ٢٧٣ : « اذا كنت صحيحا كن سعيدا ! فقد استبان فيك الناموس الكلى وانسجامه ، واهلت لمعالجة المصاعب ودحر العقبات . وان كنت عليلا كن سعيدا ! لانك مسرح تتقابل فيه قوتا الكون العظيمتان . فالغلبة لما تختار منهما . والشقاء موقوف على ماتريد » .

ومثله صفحة ٢٧٥ : « وان كنت محبا غير محبوب كن سعيدا ، لان النابذ يحب المنبوذ فى اعلى طبقات كيانه حبا لا يدانيه افتتانه بمن يهوى . والهجران حالة جمة المعانى والالفاظ ترقق ماضخم من الرغبات . » الخ .

ومن ضرب ذلك فى الغموض ، صفحة ٢٨٢ : « العيون ! الا تدهشك العيون ؟ العيون الرمادية بأحلامها ، والعيون الزرقاء بتنوعها ، والعيون العسلية بحلاوتها ، والعيون البنية بجاذبيتها ، والعيون القاتمة بما يتناوبها من قوة وعذوبة . جميع العيون تلك التى تذكرك بصفاء السماء ، وتلك التى يركد فيها عمق اليموم (تريد جمع يم وهو البحر) ، تلك التى تريك مفاوز الصحراء وسرابها ، وتلك التى تعرج بخيالك فى ملكوت أثيرى كله بهاء ، وتلك التى تمر فيها سحائب مبرقة مهضبة ، وتلك التى

لا يتحول عنها بصرك الا ليبحث عن شـــامة فى الوجنة .. الخ . »

وتستمر فتقول فى صفحة ٢٨٤ : « وانت مالون عينيك ؟ » وتمضى فتقول بعـد سطور : « تأمل فى عمق اعماقهما تتبين الذات العليمـة التى ترصد حركات الانام ، وتساير دورةالافلاك والازمنة . فى اعماق اعماقهما ترى كل مشهد ، وكل وجه وكل شيء . واذا شئت أن تعرفنى — انا المجهولة — تفرس فى حدقتيك يجدنى نظرك فى نظرك على رغم منك . »

والامثلة على هـــذا الغموض ، واستعمال الالفاظ والعبارات فى غير وضوحونبو عن البيان، كثيرة .كما تقع فىعبارات غير صحيحة أو عامية، كاستعمالها سيما وصحتها لا سيما ، وكقولها صفحة ٢٩٤ : «وراء الطاولة التى اكتب عليها». وقولها : « رحمة الله عليك يابوسويه (١) . انك لم تكن نبيها ! » وهى تريد انك لم تكن فطنـا ذكيا . وهذا افسد المعنى واخرجه عن مبناه . اذ النباهة هى الشهرة ، والسؤدد ، والشرف وهى لا تعنى شيئا من هذا . وامثال هذا كثير اشرنا هنا الى بعضه .

اما قولهم هى ذات أسلوب خاص تتميز به، ففى ذلك اغراق . اما الأسلوب الخاص المميز ، فهو الذى اذا سمعته أو قرأته ، دون أن تعرف صاحبه ، ولم يتسم لك ، ولم تجلس اليـه ، قلت : هذا أسلوب الجاحظ ، وهذا أسلوب ابن المقفع ، وهذا أسلوب الدكتور طه حسين . أما مى فهى كاتبة ولا ريب ، واسعة الثقـــافة ولا جدال ، منتجة ولا نزاع ، الا انها تكتب ، كمـا قلنا ، بأسلوب سهل حميد ، تقراه فىالعدد الجم من الكتاب ، ممن لا تصنفهم فى طبقات شيوخ البلاغة ، واعيان البيان البارزين .

ويقول الأستاذ عبد الغنى بصدد الكلام فى أسلوبها صفحة ٨٦ : « كمـا اغرمت باستعمال صيغة «أفعل» دلالة على الوصف لا على التفضيل

... فهى تقول : «يتركه جثة فى قبضة الموت الاغبر ، والصبح الأنور ، والنادى الاسنى . »

وليس ذا خصوصية لها . انه استعمال من قبيل الاستعارة ، كثير الورود فى أصولالعربية. يقولون : الموت الاحمـــر ، والعيش الأخضر ، والعدو الأزرق . (انظـــر فقه الله للثعـــالبى صفحة ٨٥) .

والأحاديث التى زفها الينا الأستاذ المؤلف بينه وبين أصدقاء مى ورواد ناديها ، باب طريف طيب . كان أوفى ماقرأناه منها ، حديث الدكتور طه حسين . وكان حديث المازنى عنها جديد التحفظ وفيه غرابة وشذوذ .

ولعل الأستاذ عبد الغنى يتحفنا بكتاب آخر يكون توءما لكتابه هذا عن مى ، يجمع فيه جميع رسائلها منها واليها ، وهى كثيرة جلت شـــأنا وفائدة ، كما أشار عليه بذلك الشاعر خليـــل مطران فى حديثه معه .

وهناك امر ذو خطـــر فى الكتـــاب مفقود ومضروب عليه ، بدت به سيرة مى معماة مفماة فى جانب منها معلم مشهور ، الم به النـــاس فى حياة مى ، عرف وذاع . ذلك صلة وثيقة العرى بين ادريس راغب رئيس المجمـع الماســـونى ايامئذ ، وبين مى . لم يذكر الأستاذ عبد الغنى فى كتابه شيئا منه ولو تلميحا ، ولا همس به . ذلك نقص وحوار كنا نشتهى الا نجد عن هـــذه السيرة فى مى متعقبا . ولعل ماورد فى الكتـــاب صفحة ٤٧ عن زيارة الدكتور منصور فهمى لها، يوم لاذت بالعزلة واغلقت ابواب بيتها وناديهـــا دون المعارف والأصدقاء اذ يقول : « وتمتمت بما يشبه هذه الكلمات ، شكرا شكرا . لا شيء. أريد النوم . رب ! لم كانت الخطيئة ؟ » لعـل هذه الخطيئة تنبىء بشيء مما كان بينهـــا وبين ادريس راغب . نحن لا ندرى . وانما هو ظن من مرجمات الظنون . وانما كان على الأســـتاذ أن ينير لنا الطريق ، وييسر لنا مسرانا فى مدارج هذه السيرة . فهو الذىوضعها وضمحواشيها. فكان لزاما عليه الا يفلت منه شيء ذو خطورة فى مجرى حياة مى ذات المفاجآت والفجائع .

(١) هو الاسقف والكاتب الفرنسى المشـــهور بمواعظه ومراثيه فى موت عظماء فرنسا ، وكتاباته فى القرن السابع عشر .

هـــذا مع انه كان معلوما عنـد الخابرين المطلعين ، علم اليقين ان جريدة المحروسة التى ظهرت باسم أبيهـــا الياس زياده ، كان المنفق عليها ، والمشرف على ادارتها هو ادريس راغب، الذى أشرب فى قلبه حب مى ، وراشها هى وأهلها بخير .

لقد بلغ بالاستاذ عبد الغنى ان صرح بحب عمر قلبها بمصطفى صادق الرافعى ، وهيــام بجبران خليل جبران . فما باله لم يشر بحرف الى هذه العلاقة المالية والغرامية لادريس راغب بمى ؟ ألم يكن يعلم ، أو يعلم ويقول : ربما أعلم فأذر ؟ ولكن ان جاز فى شىء التكتم والتحفظ ، فليس ذا مكانة . اذ سيرة الكاتب أو الكاتبـــة تقتضى ممن يدونها للتاريخ ، ويخرجها كتابا ان تكون سوية شاملة . ولا يدع شيئا من هـــذا الضرب هو أخطر مايقع فى الحيـــاة ، ولا سيما حيـــاة الكتـــاب ، من علائق الحب ، وروابط العشق .

ولدينا امثلة كثيرة من سير مشاهير الكتاب. ظهر ما استتر من حياتهم ، باقلامهم واقلام من كتبـــوا عنهم والفوا ، لروسو فى اعترافاته ، وما جاء فى اعترافات الفريد دوموسيه الشاعر الفرنسى الكبير فى القرن التاسع عشر وعلاقتـه الغرامية بالكاتبة المشهورة جورج ساند .

تمكن الحب بينهما ، ومكث زمنا ، حتى اذا اقبل شتاء ١٨٣٣ ، رحـل دوموسيـــه وجورج ساند الى ايطاليا وزارا عدة مدن فيهـــا ، ثم استقرا فى مدينة البندقية . وهناك دب الخلاف بينهما واستمر ، فانتهى بالتهـاجر . وعاد موسيه من هذه الرحلة المشئومة قريح الفؤاد ، به جرح لم يلتئم مدة حيـــاته . ولم تنشب جورج ساند ان أخرجت كتابا رسمـته (هى وهو) Elle et lui شهرت بموسيه ، وأشاعت اسرار خصامهما ، وكشفت خبىء ماكان بينهما . فرد عليها هو بكتاب (هو وهى) Lui et elle دفاعا عن نفسه ، متجنيا عليها ، ملزمها عيبها.

وكان أعجب ماعرفت به مى ، وســـاعد فى اذاعة شهرتها ، ناديها الأدبى. كان اذا استوسق الجمع ، والتأم المجلس ، عددت من رواده ،

العالم والأديب ، والوزير ، والشاعر ، أمثـال الشيخ مصطفى عبد الرازق ، واحمــــد لطفى السيد ، وخليل مطران، والدكتور منصور فهمى، وولى الدين يكن ومن اليهم . وكانت هى شمس ناديها وقطبه ، لا يبرحون عاكفين كل يوم ثلاثاء يؤمون هذا المنتدى يلقون منها هشاشة وبشاشة، وترحيبا جميلا .

واحسب ان ميا حاكت هــذه الأندية التى كانت شائعة فى فرنسا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . فقد كانت منثورة ، تملأ أرجاء باريس خاصة . وأكثرها تعرف بأسماء سيدات وآنسات فرنسا النبيلات ، ومترفة الطبقات ، يرأسنها ويعقدن مجالسها كمدام دو رنبوييه de Rambouillet ، ومادموازيل دو ســــكوديرى de Scudèry ، ومدام دو لانبير de Lambert . وما شئت فاذكر من هـــذه الأندية التى كانت تجمع فى رحابها أشهر كتاب وفلاسفة فرنســا آنئذ أمثال روســــو ، وفولتير ، وديدرو ، ودالمبير . فلا غرو ، ومى ، وهى عالية الثقافة، عالمة باللغة الفرنسية وآدابها ، غير رحلاتها الى بلدان اوروبا ، ولا سيما فرنسا ، قد اخـــذت مأخذ ذلك فانشأت ناديهـــا الذى اشتهر فى زمانها وشهرت به .

ولقد احسن الأستاذ الأديب عبد الغنى ، واحمد جهدا باخراج كتابه هذا ، واحيى ذكرى كاتبة مشهورة ، بأسلوب متين الرصف ، بديع الحبك ، كمثل ماقرأنا له فى صفحة ٣١ تعبيرا حسنا كسى ثوب فلسفة وحكمة يقول : «ليست الحياة بين الأحياء الا قصـــــة من انحدارات الدموع ، وتألق الابتسامات . فالطبيعـة حين تصفو هى ابتسامة كبرى فى ثغر الحيـــــاة . والطبيعة حين تكدر وتغضب هى دمعة ســائلة على خد الحياة . وهل سلمت الحياة بين الأحياء من هذين الوجهين ؟ أو هل سلم الأحيـــاء من هاتين الحالتين ؟ »

ومن انق هذا الأسلوب وحـلو مذاقه قوله فى صفحـــــة ١٧٧ : « وكان يعجبه من هــــذا « الصالون » اتساعه لمذاهب القـول واشتات

الكلام ، وفنون الادب . ويعجبه منه انه مكان الحديث بكل لسان ، ومنتدى للكلام في كل علم ، وملتقى للطوائف من غير تفريق . فلا تعالى بينهم ولا اختلاف فيهم . بل هم أهل ندوة واحدة الفهم الادب ووثقت بينهم المعرفة ، وجمعتهم الحكمة . يغدون ويسرحون في اخاء تالد ، على اختلاف مذاهبهم ، وتباين مشاربهم ، وتفاوت مراتبهم » .

وقد افلتت منه هنات نشير اليها — منها قوله في صفحة ٨٣ : « ولو ان في المقام انفساحا ، وفي هذا المجال الضيق المحدود اتساعا لنشرنا بعض ماسما من أساليب مي في كتبها او خطبها أو مقالاتها » .

لقد فات الأستاذ عبد الغني أن يضرب على هذين السطرين . فلا محل لهما ، اذ قد ذكر في مقدمة كتابه قوله : « ورأيت ان كتابا عن مي لا يتم الا بنشر نماذج من أدبها وكتاباتها وخطبها ورسائلها . فألحقت بالكتاب قسما يضم طائفة غير يسيرة من ذلك . » ولقد فعل . فقد اختار في نحو مائة صفحة في ذيل كتابه ، منتخبات كثيرة من رسائلها ومقالاتها وخطبها .

وثانية نؤاخذه عليها قوله في صفحة ٨٤ : « كتاب المقامات الذين أولعوا باللفظ وعنوا بالكلمة . فجاءت كتابتهم ضئيلة . وزادها التعمل غرابة أو سقما في الألفاظ » .

لقد كان الأستاذ المؤلف أن يشح بنفسه عن هذا التجني . فأولا . المقامات لها مكانتها الرفيعة ، ونفعها العميم ، وضرورتها اللازمة ، اذ هي كتب لغوية بحتة . مقصدها ان تهدى الى قرائها دروسا في أصول اللغة ، وأساليبها ؛ وأسرارها ، بحيلة لطيفة حاذقة هي جلوتها في ثوب الحكايات ، والقصص ، والملح ، فتخف على الدارس والمطالع . وتجيئه من أيسر السبل وأقرب الموارد . كمقامات بديع الزمان ، والحريري ، واليازجي . ثم كيف توصف بسقم الالفاظ ، وهي انما جاءت بالمختار المصفى من الكلم والتعابير ؟ .

وثالثة قوله في صفحة ١٦ : « ألم يقل الشاعر عمر بن أبي ربيعة في حبيبته (نعم) .. » وبعد أن أورد لعمر بيتيه في «نعم» يقول : « ثم الم يقل لنا الشاعر الآخر :

ليت هندا انجزتنا ما تعد
وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

اي شاعر آخر ، يا استاذ ؟! انما هو نفس عمر ابن أبي ربيعه القائل لهذين البيتين ، وبقية أبيات هذه المقطوعة هي :

زعموها سألت جاراتها
ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني
عمركن الله أم لا يقتصد
فتهاتفن وقد قلن لها
حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من اجلها
وقديما كان في الناس الحسد

وورد في صفحة ٢٣٨ قوله : « فقد جاءني يوم من الأيام الشيخ يوسف الخازن . » فهل « يوم » في هذه العبارة ، في موضع الفاعل ، أو هي ظرف زمان ؟ فالواجب ان تقع منصوبة ،اي يوما من الأيام ، والفاعل في الجملة الشيخ يوسف الخازن . فلعلها غلطة مطبعية .

وبعد فطرفة ماقدم ، وتحفة ما أهدى ، وجهد بذله ، حميدا مشكورا . فقد حبب الينا ميا وأحيى لها ذكرا عاطرا . فليقرأ كتاب الأستاذ عبد الغني كل ذي قلم وأدب . فكتابه نفيس نفعه عميم .

أحمد أبو الخضر منسي



دراسات إسلامية

ترجمة : بإشراف نقولا زيادة

بدات هذه الدراسات بتقديم مؤلفيها من كبار المستشرقين الامريكيين ، وتعريف القراء بهم ، ثم بالتعريف بمن قاموا بترجمة هذه الدراسات . يلى ذلك تصدير للدكتور نقولا زياده أحد مترجمى هذه الدراسات عرض فيه للفتوحات الاسلامية التى امتدت ـ بعد وفاة النبى ـ الى الهند والصين شرقا ، وبحر الظلمات غربا ، والتى استمرت قرنا وربع قرن ، تغلب فيها الجنس العربى على الأجناس الأخرى ، وتمثلها فى بعض الأقطار ، وانتشرت فيها اللغة العربية فى الأقطار المفتوحة انتشارا سريعا ، وتغلغل الاسلام ، واعتنقته شعوب هذه البلاد التى كانت لها حضارتها وثقافتها ، فاختلط الاسلام بهذه الحضارات ، ونتج من ذلك كله اختلاط اجتماعى سياسى فنى اقتصادى تكونت منه هذه الحضارة الاسلامية .

وقد كتب الباحثون ـ من مسلمين وغير مسلمين ـ آلاف المجلدات عن الاسلام والحضارة الاسلامية ، فكان منهم الواصف والمحلل والداعية والهدام ، وسيظل الباحثون على ذلك مادام الاسلام اسلاما ، والتاريخ تاريخا ، والناس ناسا . ويمكن القول اجمالا أن التاريخ السياسى نال النصيب الأوفر من هذه البحوث ، ولكن مع تطور الزمن ، وتبدل وجهات النظر . ى البحث التاريخى ودراسته أخذت نواح أخرى من تطور الحضارة الاسلامية تستأثر بعناية الباحثين ، فظهرت دراسات اقتصادية وعقائدية واجتماعية وفلسفية وادبية جليلة القدر ، عظيمة النفع . ومع أن الكثير مما كتب قد لا زمته غاية خاصة فى نفوس الذين وضعوا المؤلفات ، فانه من الحق أن يقال أن مثل هذه البواعث والدوافع آخذة فى التناقص .

وشرح الدكتور نقولا زيادة هدفه من جمع هذه الدراسات فى كتاب بقوله « ان الكتابة ى نواحى الحياة الاجتماعية فى العالم الاسلامى لا تزال فى أولها ، ومن هنا كان الاهتمام بهذه المباحث التى جمعت بين دفتى الكتاب الذى نقدمه اليوم الى القارىء العربى » واخذ بعد ذلك يشير الى ما يتناوله كل بحث من ابحاث هذه الدراسات اشارة موجزة ، وختم تصديره بالاشارة مرة أخرى الى الغاية من جمع هذه المباحث فقال : « ان الغاية من جمع هذه المباحث بين دفتى كتاب هو اطلاع القارىء العربى على مدى الاهتمام الذى تلقاه الدراسات الاسلامية بين المستشرقين الامريكيين ، والعناية التى يولونها لدرس التراث الضخم الذى خلفته تلك الحضارة » .

ظهور الاسلام
وقيام الدولة العربية

تكلم الباحث عن ظهور الاسلام فى جزيرة العرب ، وكيف كان ظهوره من أعجب الأحداث التى عرفها تاريخ الجنس البشرى فى تاريخه اطلاقا . وما كاد يظهر حتى انتشر فى شبه



تأليف: مجموعة من المستشرقين

الناشر: مؤسسة فرانكلين

٤٤٤ صـ - ١٧×٢٤ سم

الجزيرة ثم فى معظم انحاء العالم المتمدن ، وعرف العالم فى ظله فترات رائعة حافلة بالعظمة والفن والثقافة ، تعتبر من اهم العصور التى عرفها العالم . وعلل الباحث سرعةانتشار الدين بظهور النبى فى عالم مضطرب قلق ، تسوده الفوضى ، ويعمه الانحلال ، استسلمت فيه الامبراطورية الرومانية لغزوات القبائل البربرية الأوربية ، وخرجت فيه دولة الروم الشرقية منهوكة القوى من حروبها ضد الدولة الساسانية الفارسية ، فأنعش الدين الجديد شعوبا بائسة خائرة العزائم ، وبشرها بمستقبل عظيم ، فضلا عن شجاعة أتباعه ، واستبسالهم فى سبيل نشره .

ثم تكلم الباحث عن جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام ، وما كان يسودها من اضراب القبائل وتنازعها ، واضطراب العقائد وتعددها ، ثم عن مولد الرسول ونشأته حتى اختاره الله لرسالته ، وعن الهجرة وأثرها فى تدعيم أركان هذا الدين الجديد ، وتأليف قلوب العرب ، ثم ماحدث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام من ردة بعض الأعراب وبخاصة فى الأحساء ، وما تلا هذه الحروب من فتوحات استمرت اكثر من مائة عام . ولم يأت عام ٧٥٠ حتى كان المسلمون قد اكتسحوا شمال افريقية والأندلس فى الغرب ، ووصلوا الى حدود الصين فى الشرق . الا انهم لم يوفقوا الى احتلال القسطنطينية أو فرنسا فى هذه الفتوحات .

ثم تكلم عن بساطة الخلافة وقوتها فى عهدها الاول ، وكيف حدثت الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان وانقسم المسلمون فرقا وطوائف ، وكيف انتقلت الخلافة الى دمشق فى عهد الأمويين ، ثم الى بغداد فى عهد العباسيين ، وكيف احتلت بغداد مكانتها الرفيعة فى العصر العباسى الأول ، واصبحت مركز الحضارة الاسلامية ، وكيف أثارت مصادر المعرفة الفنية المتراكمة عقل العرب النشيط ، ودفعته الى الدراسة والبحث فى كل فرع من فروع المعرفة . وبهذا حفظ العرب للحضارات القادمة آثارا هامة مما قدمه الأوائل فى المعرفة والأدب ، واضافوا أشياء مبتكرة الى الطب والعلوم ، واخترعوا علمى الجبر والكيمياء ، واخترعوا فى الأعداد (الصفر) وحسنوا صناعة الورق ، وأبقوا مشعل المعرفة متوقدا رائعا ، فى حين كانت أوربا تعيش فى عتمة العصور المظلمة . وخلص من هذا الى الكلام على النكبات التى حلت ببغداد من الأتراك والديلم والسلاجقة حتى حلت بها النكبة الكبرى باحتلال المغول لها ، والقضاء على الخلافة العباسية ، وما حدث بعد ذلك من قيام الامبراطورية العثمانية ، وتسلطها على بلاد الشرق الأوسط ، وحكمها حكما فاسدا ، ثم ما حدث بعد ذلك من تسلط أوربا على هذا الشرق الأوسط واستغلال كنوزه ، والقضاء على الامبراطورية العثمانية .

السيادة الاسلامية

تناول هذا الفصل السيادة الاسلامية فى البحرالأبيض المتوسط بواسطة العمارات البحرية الاسلامية لشمال أفريقيا وسوريا والتى استولت على الجزر الهامة فى ذلك البحر وبخاصة كريت وصقلية ، وزعزعت نفوذ الدولة البيزنطية وحلفائها ، ووضعت العمارات البحرية يدها على نقطارتكاز هامة فى صقلية ، وجعلوا من بالرم قاعدة لاسطولهم الذى أخذ يروع شواطىء ايطاليا وتجارتها ، واستولوا على جزيرة (بانتلليريا) ليؤمنوا اتصالهم بشمال افريقيا . وفى الوقت نفسه كان رجال الأسطول الاسلامى فى كريت يتقدمون بسرعة فىبحرى ايونيه وايجه ، واستولوا على برنديزى ، وانزلوا كارثة باسطول البندقية ، واستولوا على (بارى) والمناطق المحيطة بها . وبذلك فتح البحر الادرياتيكى فى وجه الأسطول الاسلامى وانشئوا فى بارى دولة اسلامية ، على حين استولى اسطول بنى الأغلب الذى قام من صقلية على مسينا .

وقد ضرب بنو الأغلب ضربتهم النهائية ضد البزنطيين فى حملة قادها الملك الافريقى ابراهيم ، فهاجم ما تبقى للبزنطيين من مدن فى صقلية والنواحى المحيطة بها ، وتابع زحفه المظفر عبر المضايق الى كالابريا ، ولم ينقذ ايطاليا من قضائها المحتوم الا وفاة ابراهيم فجأة فى كوستزا ، وانسحاب جيش المسلمين الى صقلية،وسقوط ملك بنى الأغلب فى شمال افريقيا وقيام الفاطميين .

ومضى الفصل بعد ذلك فى تعقب المعارك البحرية بين العرب وبيزنطية مدا وجزرا . ومصاولة ومطاولة ، دون ترتيب زمنىللأحداث، حتى ظهرت القوة الثالثة البحرية للاسلام ، وهى عمارة الأندلس البحرية . ويعترف المؤلف نفسه بأن تنظيم هذه القوات البحرية وتتبع تحركاتها مسألة صعبة لقلة المعلومات عن ذلك واضطرابها ، مما جعل ربط الأحداث فى هذا الفصل يتطلب جهدا كبيرا .

وأهم ماعالجه المؤلف فى هذا البحث هو الأثر الذى كان لسيادة المسلمين البحرية على الحياة الاقتصادية والتجارية فى منطقة البحر المتوسط ، والبحر الأسود ، والفضل فى ذلك يعود الى سيطرة المسلمين على البحر المتوسط، وعلى الطريق الشمالية الدائرية الى سوريا ومصر عن طريق صقلية وكريت وقبرص ؛ واصبح أهالى شمال افريقية يتحكمون فى نقل التجارة بين الشرق والغرب ، كما ان سفنهم - فى المقام الأول - هى التى كانت تمخر البحر المتوسط الى مصر وسوريا ، لتاتى بتوابل الشرقين الادنى والأقصى وسلعهما المترفة الى شمال افريقية والمغرب الاسلامى ، وكانت النتيجة ازدهارا مثيرا فى المغرب ، وامتد هذا الازدهار الى مصر وبخاصة حين أخذت التجارة الشرقية الى المحيط الهندى والشرق الاقصى تتخلى عن طريق الخليج العربى ، وتعود ثانية الى البحر الأحمر ومصر . وتمتعت بلاد الاندلس أيضا فى هذه الحقبة بازدهار صناعى وتجارى وزراعى ، واصبحت تفوق بلاد المغرب بحضارتها . ومن التطورات الهامة فى العالم الاسلامى اذ ذاك ظهور الدينار الذهب فى الشرق والغرب ، وانتشار الصيارفة اليهود والفرس فى هذه المواطن الحساسة للتجارة . وفى الوقت الذى ازدهرت فيه الحواضر الاسلامية فى هذه الأيام كان الشاطىء المسيحى على البحر المتوسط لا يكاد يحمى نفسه من الغارات المتقطعة التىكان يشنها المسلمون من اسبانيا أو من قواعدهم فى البحر ، مما ادى الى انحطاط هذه المدن . ولم يستطع جنوب ايطاليا ان يستعيد نشاطه التجارى الا فى القرن العاشر عندما وضعت حملات تقفور حدا للخطر الاسلامى .

الحروب الصليبية والجهاد

مهد مؤلف هذا الفصل لحديثه عن الحروب الصليبية بذكر الدوافع الحقيقية لهذه الحرب، فذكر ان الدوافع السياسية والاقتصادية كانت اقوى من الدوافع العقائدية ، فاستغل الدين كستار للمطامع فى هذه المعركة الكبرى التى تصارع فيها دينان عظيمان فى ساحات سورية ، وسارع النصارى بعد سماعهم لخطاب البابا أوربانوس فى كلارمونت الى التطوع لاخراج

الكفار من الاراضى المقدسة، وتوافدوا من مختلف الطبقات والأصناف ينضوون تحت لواء الحرب المقدسة التى دعا اليهـا ، وعين البابا واعظين ومبشرين متنقلين ليحملوا الرسالة الى جميع الشعوب ، وليحثوا النـاس على التطوع فى الحرب ، وقد تعـددت الرغبـات ، واختلفت النوازع ، فشارك فى هذه الحرب أفراد كثيرون مدفوعين بالبحث عن المغانم والمكاسب ، وأمراء مدفوعين بحب المغامرة والبطولة ، وسـادة يحلمون بانشاء امارات فى أنحاء الشرق تخضع لسلطانهم ، وخليط من الدهماء ساقه التيـار امامه ليتخلص من حياته الرتيبة المملة ، أو من سلاطة السنة الزوجات .

وقد ساعد تفرق حكام سورية والبـلاد الاسلامية ، وتفكك كلمتهم ، على نجاح الحمـلة الصليبية الأولى ، واسـتطاع الصليبيون ان يحاربوهم واحدا بعد الآخـر ، دون أن يتعاونوا على درء هذا الخطر ، فسقطت سوريا ، وظلت نهبا للحروب والمصـادمات ، تارة بين الدول الاسلامية المتنازعة ، وتارة بين النصـارى والمسلمين ، وأحيانا بين الأمراء النصـارى انفسهم ، وبلغ من اضطراب الأحوال فى المنطقة ان المسلمين والنصارى على السواء لم يترددوا فى التحالف مع اعداء دينهم ضد أبناء ملتهم .

ثم تكلم المؤلف بعد ذلك عن تاريخ الحروب الصليبية المتتالية حتى ظهور عماد الدين زنكى ابن اقسنقر ، الذى يعتبر أول من قام للأخـذ بالثأر من الصليبيين ، ثم تكلم عن ابنه نور الدين الذى يعتبر بطل الجهاد ، ثم عن ظهور البطـل صلاح الدين وجهاده بعد أن وحد مصر وسوريا، وكيف وجه صـلاح الدين همتــه الى طرد الصليبيين بعد أن هاجم رينو قوافل المسلمين ونهبها فى زمن الهدنة ، وقام بغارة متهورة عقيمة على مكة والمدينة . ثم تكلم عن اعادة صلاح الدين لبيت المقدس وعن تسامحه وشهامته مع خصومه مما أثار اعجـابهم ، وظل المؤلف يسرد تاريخ الحروب الصليبية حتى حملة القديس لويس التاسع ملك فرنسا الذى هزم فى معركة المنصورة، وكيف هللت أوربا الصليبيـة لظهور المغول ، وانتصارهم على المسلمين ، واخذت الأحـلام

تراود البابا فى اقامة حلف مقـدس مع المغول يسحق فيه الدول الاسلامية سحقا ، وترددت فى ذلك الوفود بين أوربا وسلطان المغول ، ولم ينقذ الاسلام من جحافل المغول ومطامع حلفائهم الا انتصار مصر عليهم فى عين جالوت عام ١٢٦٠ .

الاسلام ونمط الحيـاة الاسبانية

بدأ المؤلف كلامه بالحديث عن الصراع القديم بين الجسد والنفس ، حيث نشأت عن هـذا الصراع حركات روحيـة فكرية مختلفـة : كالتقشف والزهـد ، والفلسفة الرواقيـة المسيحية ، والنزعة الصوفية . وينفرد الاسبان بأنهم عانوا هذا الصراع فى حياتهم ، ولم يلتمسوا مخرجا أو منفذا لهذا التوتر الداخلى : فالاسبانى لا يهتم بالحقائق المجردة ، لانه لا يميل كثيـرا الى التفكير ، ولا يسـتطيع أن يعنو لضرورة الانفصال انفصالا تاما عن ذاته حتى ولا عن رغائب جسده . فالفكر عند الاسبانى يجب أن يتحـد ويمتزج امتزاجا كليا بحياة المرء كلها ومن جميع نواحيها . وهذا مما لا يدع مجالا للتفكير المجرد، وافتراض النظـريات . ولذلك لم يظهـر من الاسبان فلاسفة مبدعون اضافوا شيئا جديدا الى جماع الفكر الانسـانى . على أننـا نجد من ناحية أخرى أن الاسبانى يعنى غاية العناية بكل ماله علاقة بأسلوب التعبير عن النفس والمشاعر، ولذلك اقتبس من بعض التعابير العربية ما ساعده على ذلك ، كما اقتبس بعض عادات العـرب كتقبيل اليد وغسل الميت والجلوس القرفصـاء على الأرض .

لقد استطاع العربى أن يتمثل حضـارات الشعوب التى فتحها ، وأن يتصل اتصالا وثيقا بمعالم الفكر فى بلدان هذه الشعوب ، وان يتفاعل معها ، أما الاسبانى فقد كانت غايته القصـوى التمسك بالتعاليم الدينية ، والتعصب الأعمى ،

والايمان القوى الذى خلص بلاده من الاحتلال، ثم ينتهى المؤلف بهذه النتيجة التى استخلصها من المقارنة بين العربى والاسبانى : « ان المسلم العربى يذيب ذاته فى الأشياء حوله ، أما الاسبانى فانه يحاول ان يذيب الأشياء حوله فى ذاته » .

نشاط ابن خلدون

يحتل ابن خلدون مكانة خاصة فى التاريخ الاسلامى ، لأن مقدمته - من حيث انها لبنة فى بناء دراسة التاريخ - تعتبر من أفضل ما قدمه عالم عربى اصالة وابداعا ، فهو أول كاتب نظر الى التاريخ على انه موضوع حرى بعلم خاص ، ولم تكن مصادره لهذه الثقافة الفريدة سوى تجارب حياته وتأملاته فيها ، وأتاحت له خبرته المتألقة ان يتعرف على طبيعة الظواهر الاجتماعية والسياسية ، وتطور التاريخ والمجتمع ، وقيام الأسر والدول وسقوطها .

ويمضى المؤلف بعد ذلك فى سرد تاريخ ابن خلدون فى بلاط السلطان برقوق بالقاهرة ، والصلة التى جمعت بينهما ، ثم يتكلم بعد ذلك عن حياة ابن خلدون فى جميع الوظائف التى تقلدها ، وعن رحلته الى دمشق والتقائه بتيمور، ذلك اللقاء التاريخى . ويحدثنا عن مؤلفات ابن خلدون وكيف أعاد النظر فيها وهو بمصر .

الفتـوة

هل هى الفروسية الشرقية ؟

ليس ثمة ما يدلنا على ان العرب فى جاهليتهم قد استعملوا هذه الكلمة للدلالة على جماعة خاصة تتميز عن سائر القبيلة بالعمل من اجل هدف معين ، ولكن بعد تغلب العرب على الأمم المتحضرة فى الشرق الأدنى تجد كلمة فتى تستعمل استعمالا يكاد يكون مقصورا فى الدلالة على اعضاء فى جماعات ، واصبح للفتوة معنى فنى يدل على جماع الفضائل الخلقية من شجاعة وكرم وشهامة وضيافة وتضحية ونكران ذات، واطلقت فى القرن التاسع على فئات من المتطوعين للجهاد فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ، دون أن يكونوا جزءا من الجند النظامى ، وعلى المقاتلة فى الثغور الذين ينضمون الى جيش الدولة فى معارك الجهاد . وكانت تتدفق على هؤلاء وهؤلاء الأموال والمساعدات من ملوك العالم الاسلامى وسلاطينه وشعوبه ، تقربا الى الله ، ومشاركة فى الجهاد. وقد لعبت هذه الجماعات دورا حاسما فى التوسع السياسى الذى أحرزه الاسلام . ثم يتحدث الكاتب عن مؤلف يدعى ابن الصمار وضع كتابا فى الفتوة للخليفة الناصر ، تكلم فيه عن شروط الفتوة وصفواتها ، والتدرج فى مراتبها حتى لبس السراويل . وقد جعل المؤلف الناصر لدين الله هو قبلة الفتوة وزعيمها . وقد عرف المجتمع الاسلامى هذه الفتوة فى الحروب الصليبية ، وعرف ما يقابلها عند الصليبيين ، وهى الفروسية .

التطور فى الدين

تكلم المؤلف عن الصورة التى شاهد عليها معظم اقطار الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الثانية ، وعن اتجاه قادته الوطنيين الى محاكاة الغرب فى اصلاح بلادهم وتطورها ، ولو ادى ذلك الى مخالفة المتزمتين من رجال الدين ، كانت هذه هى صورة الشرق الأوسط فى نظر الكاتب عام ١٩٣٩ ، ولكنه عندما عاد الى القاهرة عام ١٩٥٢ وجد على جدران الجامعة وغيرها شعارات مكتوبة مثل :

الاسلام دين العالم ، القرآن أساس الدولة .

وهذا دليل ناطق على ان الدين قد انبعث على أثر الفوضى السياسية فى السنة المنصرمة ، وأخذ يشارك فى شئون الدولة العملية . وهذا الانبعاث يتمثل فى الاهتمام بالأعياد الدينية بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى قوة تماسك الدين ازاء الدعوات الهدامة . ولكن يبدو - فى نظر المؤلف - أن هذا الانبعاث لا يؤلف فى الدرجة الأولى انبعاثا فكريا ، وليس هو محاولة لخلق فلسفة دينية جديدة ، وانما هو فى الحقيقة احياء للدين كعامل اجتماعى ، وكحزب سياسى،

وكجزء من كيان المجتمع . ولذلك جاء هذا الانبعاث ردا على ضغط الغرب السياسى على الشرق العربى ، ومحاولة فرض سيطرته عليه بالأحلاف والقواعد عقب الحرب العالمية الثانية، ثم خلق اسرائيل فى قلب الوطن العربى . وبذلك خسر الغرب ماكان لحضارته وثقافته من سحر فى نفوس سكان هذه المنطقة ، واتاح للحركات التحررية والدينية ان تظهر فى الشرق الأوسط كبديل من الفوضى والانحلال .

انبعاث الاسلام

تكلم المؤلف فى هذا الفصل عن زعماء الانبعاث الاسلامى ، واورد ان كمال أتاتورك لم يكن وحده رائد الانبعاث الاسلامى فى العصر الحاضر ، بل هناك فى الباكستان ــ اكبر دولة اسلامية ــ مفكرون وسياسيون ومشرعون من امثال اقبال وجناح وغيرهما ممن انشئوا دولة الباكستان ، واوسعوا المجال للدور الذى يجب ان يلعبه الاسلام فى العالم المعاصر . وعقد المؤلف مقارنة بين الآداب الاسلامية وآداب آسيا (الهندوسية ــ البوذية ــ الطاوية ــ الكنفوشية) ، وقال ان المفكر الغربى حين ينتقل من دراسة آداب آسيا الى دراسة الآداب الاسلامية يكون كمن ينتقل من جو يغمره الضباب المنخفض المشبع بالرطوبة الى طبقات الجو العليا حيث الصفاء والنقاء ، وذلك لأن الفكر الاسلامى خالط كل الحضارات وتمثلها ، ويتضح هذا من دراسة الشاعر اقبال الذى جعل القرآن نبراسه الذى يضىء له طريق تفكيره . واورد المؤلف بعد ذلك نص قصيدته (الشكوى ، والجواب) ومقدمة الطف حسين عليها ، وفيها يتضح منهجه الدينى فى التفكير ، كما يتضح هذا المنهج ايضا فى مؤلفيه (نشوء الفكر الفلسفى الاسلامى فى ايران ، وتجدد الفكر الدينى فى الاسلام) .

الاسلام والتطور

تكلم المؤلف عن قوة الاسلام ، وكيف أنه استمر فى حركة دائبة اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، وسيستمر بعد ذلك مادام محتفظا بسجل رسالته الوحيد وهو القرآن ، ثم تكلم عن بزوغ فجر الاسلام وعن الفتوحات المذهلة التى تمت فى عصوره الأولى ، وكيف أوجد للعالم حضارة جديدة ، وخلق فيه مجتمعا عظيما على أسس لغوية وشرعية جديدة ، على حين لم يغير الدين المسيحى من مجتمعه شيئا . ثم تكلم عن الصوفية واسباب ظهورها . فقال : انها من صنع جماعة من المتدينين انسحبت من المجرى الرئيسى للتقدم الاسلامى منتهزة فرصة الضعف والوهن. ثم انتقل المؤلف الى بحث جديد وهو الاسلام فى التاريخ الحديث ، وقد افرد له الكتاب الذى بين أيدينا عنوانا مستقلا . وفيه يتحدث المؤلف عن الحركات الاسلامية فى التاريخ الحديث ، والتى ترمى الى ايقاف التدهور والانحلال فى العالم الاسلامى . وضرب لهذه الحركات مثلا بالحركة الوهابية فى شبه الجزيرة العربية ، والمهدوية فى السودان ، والحركات الاصلاحية فى الهند على يد شاه ولى الله دهلوى، وسيد أحمد برلاوى ، ثم تكلم عن ظهور جمال الدين الأفغانى، وتأثير نشاطه فى العالم الاسلامى ، وتأثير تلاميذه من مختلف الاقطار فى الدعوة الى الاصلاح . ثم قال ان الحركات التحررية فى الشرق الاسلامى لم تخل من العنصر الدينى ، ولكن لم يكن هو العنصر الوحيد فى انبعاثها بل كانت هناك ارادة التحرر والخلاص من نير الاستعمار .

محمود الجريسى



لهب وأمواج

نظم
شريفة فتحي

الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٧٠ ص ١٤×٢٠ – الثمن ١٠ قروش

فى غمرة الأحاسيس المشبوبة التى تتلقف الجديد بروح تسمو الى معرفة الفكرة أطل على الوجود هذا المولود الشعرى ، متكامل المظهر ، حلو الخلجــات ، يانع كالورود ... مزدهرا كالياسمين ذا لوحات تعبيرية تحمل فى خطوطها البيانية معالم القصيدة .. فالشعر فى هــذا الديوان يقف بين انداده ليعلن عن كنوزه البراقة التىيحملها للوجود فى ترانيم صوفية تارة ، عاطفية اخرى .. ثورية حينا . ولذا سنسبر غوره لنرى ما يحمله هــذا المولود البكر بالنسبة للشاعرة وللقصائد معا .

الشــاعرة شريفة فتحى ليست بحاجة للتعريف . فهى انسانة فنانة اخذت مجالها فى محراب الرسوم الرائعة ، والأغنيــة المذاعة ، والقصيدة المنشورة . وليسديوانها هذا الا ثمرة الكفاح الطويل الذى عاشته الشاعرة بين كلمات المديح والاطراء والنقد والتجريح ، شأن كلفنان تصادفه عقبات كثيرة للوصــول الى المجد .. فالمجد كلمة كاللحن الاثير تداعب الخيــال بلذة النشوة للنصر المظفر ولعل الشاعرة قد وصلت الى النصر المرتقب اذا اعتبرت ان الديوان هــو النصر وعلى هذا لابد لنا من أن نحكم للشاعرة ونعطى قصائدها الحق الذى يستحقه .

ان أول مايصادفك فى ديوان (لهب وامواج) مقدمة طويلة لا تكشف نوعيةالشعر بقدر ماكانت تؤرخ حياة الشاعرة . ولعل المقدم الكريم (عزيز اباظة) اراد لنا ان نحدد قيمة الديوان من خلال نظرتنا له ، وفهمنا لمحتوياته . ونحن لا نشــك ابدا ان ديوانا كهذا سيكون مدارا لاقــلام جادة تحدد للشاعرة مكانها فى هــذا الميدان الرحب الأصيل .

ماهية الشعر

الشعر بمفهومه الأدبى هو الشعور لأصداء الروح ، يرتكز على فكرة هادفة تجلو عن النفس الكآبة وتحلق بها فى أجواء الخيــال المجنح ، والشعر فى واقعيته يترجم لنا الحيــاة بكل احداثها ... بؤسها وسعادتها، قسوتها وقلقها، وهو فى رمزيته يداعب النفوس بمحاكاة فلسفية تساعد الشاعر على أن ينقلنا بزورقه الخيــالى الى اماكن بعيدة بعيدة نحاول جهدنا ان نكشف الوشاح الرقيق الذى يخفى عنا معنى الكلمــة لنعيش بمفعولها السحرى الغامض . اما الشعر فى ثورته فهو رسالة امينة يحملها الشاعر فوق منكبيه لتكون نورا تضىء لنا ظلمات الدروب .. فاذا كان الشعر محددا بتلك العناصر المذكورة ، فما هو مكان الشاعرة فى ديوانها (لهبوامواج) ؟

الشعر عند شريفة صور ذاتية منوعة تحمل الفكرة الهادفة فى مختلف الوانها وهى كشأنها فى الرسم التقطت الصور معبرة صادقة مخلصة لفنها فى المبنى والمعنى ، ففى القصيدة الصوفية

(الله) نرى الشاعرة انسانة تذوب فى بوتقة الهية وفى غيبوبة تنسى معها الوجود الصاخب . اذ تقول :

تباركت يارب من خالق
صفت مابدعت ابهى الصور

الا كيف احييت هذا التراب
وانبت فيه ظليل الشجر

وتتابع الشاعرة القصيدة بايمان مطلق ، وصوفية شفيفة ، فيها البيان الجميل وطلاقته الحلوة الناعمة .. اما فى قصيدة (انشودة ام الى طفلها) فنسمع الشاعرة تخاطب طفلها بأروع نداء واعذب لحن :

نم يا حبيبى فى رضا وامان
سهرت عليك عناية الرحمن

طيف النهار مضى ونامت شمسه
والليل اقبل ناعس الأجفان

وهكذا تمضى تعزف لنا لحن الأمومة على قيثارة العاطفة المشبوبة بالحب الكبير الذى لا يعادله اى حب فى الوجود . فالطفل نعمة كبرى يهبها الله للأم كأغلى ماتكون هداياه السماوية المقدسة . وشريفة ابتدعت بندائها اذ صورت لنا الأم فى قلب صاف ، عار الا من خشوع الحب ، وعاطفة الأمومة المثلى .. أما الشعر الوطنى عند شريفة فقد كان مرسلا كتقرير يحمل تاريخا لشعب عريق فى نضاله .. ولزعيم ثائر لحرية وطنه اذ نسمع الشاعرة تردد فى قصيدة (ثورتنا) :

اخذنا المجد رغم الدهر واعتزت معالينا
بروض السلم اطيار تفرد فى روابينا
وفى ساح الوغى نار ستصلاها اعادينا
لنا أهدافنا المثلى رسمناها بأيدينا
نسالم من يسالمنا نعادى من يعادينا

فى هذه القصيدة نجد المراة الثائرة والناثرة والشاعرة .. نرى بذور الوطنية قد نمت وترعرت فى قلب المراة المواطنة التى تعى قيمة الوطن كقيمة الروح . والقصيدة تمتاز بنوعية خاصة للشعر لأنها تحمل الفكرة بقالب ثورى ، وشريفة فى (ثورتنا) كانت صدى حبيبا لكل صوت أنثوى ينادى بالحرية وكانت رسالة مشرفة للمراة العربية التى تعى واقع بلدها فتعطيه من حنانها كما يعطيها من خيره ومجده .. وفى الديوان ايضا عدة قصائد كلها تخدم الهدف الثورى كالمارد الأسمر .. وانشودة مجد .. ورسالة الى فلسطين .. وصيحة عربية ، اذ تشمل القصائد الحقيقة بجمال المعنى والتصوير الفنى الجميل مما يدل على أن للشاعرة باعساحر يصقل الشوك الى جوهر اخاذ بديع .

اما القصائد الذاتية فى الديوان فقد اخذت الجانب الأكبر . وذاتية المراة ترتفع الى أسمى مدارج الانسانية .. فالشعر الذاتى عند المراة هو نفسها سواء بسواء ، تعرضه لنا بكل فخر لأنه واقعها .. ولأنه يكشف استار خلجاتها وانفعالها .. والمراة التى تنطق الشعر تسمو بروح المحبة . والحب لدى المراة الشاعرة صلاة خلود ، ودمعة صدق ، وهمسات قلق . وفى الديوان نعيش مع المراة الشاعرة . وليست المراة التى يقال عنها الشعر لأن هناك فئة من نقادنا يغالطون انفسهم بسخرية لاذعة كلما ارادوا أن يكتبوا لنا عن الشعر النسائى ، ويفندونه بأشكال وأشكال لا نخرج منها الا بحثالة فكر .. وليعذرنى القراء اذا قلت بأنهم لا يدركون حقيقة المراة من خلال شعرها . لأن المراة تعتبر وحيا للشعراء كافة فكيف اذن تكون روعة الشعر اذا نظمه الوحى نفسه .. وبالتأكيد الشعر النسائى هو الشعر الذى تقوله المراة من صميم نفسها.. من عمق أعماقها .. بلمسة من حنانها .. من ذاتها .. من كبريائها .. من دموعها . فالمراة اذا قالت الشعر كأنما تعلن للوجود .. هذا انا .. باحساسى .. بنبلى .. بقسوتى .. بقلقى .. بخواطرى .. ولا اظن ان شاعرا مهما بلغ من النبوغ يستطيع أن يحسن القريض بروح المراة وذاتها .. لأن الشعر عند المراة هو المراة .. وشريفة الشاعرة كانت المراة الشاعرة التى اجادت تصوير حقيقتها عارية من كل زيف . ولنسمع شاعرتنا الملهمة تقول فى قصيدة (حبى) :

أأروح أحكي عن خفايا مهجتي
واتابع الآهــات بالزفرات
والنفس أعرضها واهتك سترها
واذيع حبي وهو سر حياتي
اأجرد الاحســاس من أثوابه
لأكون نهب السمع والغمزات

وتتابع الشاعرة القصيدة بروعة خلاقة بلغت جمالها المطلق . فالحب عند شريفة قداســة ونبل وهو يقترب في أكثر الأحيان الى الشك . لان الشاعرة رغم قداسة الحب عنـدها تخشى الاقدام عليـه . ففي أكثر من قصـيدة نجـد الحيرة .. حيرة القلب الهائم فوق السحب ..

وفي النصف الأخير من الديوان نرى الشاعرة تعيش خفايا النفس بكل وضوح وواقع .. تعيش التأمل نحو حياة أفضل. وتعيش الألم والعنفوان . فقصيدة (اليهم) متفاعلة الأحداث والظروف . فهي ذاتية متسمة بالحزن . والشـاعرة هـذه القصيدة انسانة ترد عن نفسها كيـد الأعادي ، ولفظ الثغور المبفونة . فهي فنـانة لها كرامة الانسان وعنفوانه الأصيل ..

قالوا . فجاروا .. وافتروا دون اعتبار
فكأنما بيني وبين القــــوم ثـار
اســتعذبوا التجريح وانهـالوا اذى
حتى استعاذ الشعر منهم واستجار
قالوا اســتعارت فنهـــا ياويحهم
الفــن ابن الروح كيف اذن يعــار

هذه بعض المقاطع من القصيدة الطويلة التي تحمل في أبياتها ثورة أنثوية بواقع مجتمع بالحقيقة . فمهما ارتفع الفنـان في فنـه الى سماء الفكر والابداع لا يسلم من زمرة الالسن التي دابهـا التجريح .. ولااظن ان الشاعرة قد نجت من هذا المبرد الحـاد .. لقد أنكروا عليها فنها ، وأثبت لهم فنها بجماله ورونقه .. ولكن يبدو ان شريفة لم تمر في معارك النقد .. واذنها لم تلتقط الا بريق الألفاظ . ولذا ثارت (غضبا) لسماعها كلمات النقد على حساب الفن . فأرادت ان ترد الصـاع صاعين ، والكلمـة كلمتين . وما رغبت لهـا أن تنزل الى الميدان الا بجمال شعرها القوى الذى انكروه عليها .. وايضا هناك اشارة جديرة أحب أن أقولها للسيدة الشـاعرة . هي ذكرها كلمة (نهيق الحمار) كدلالة لعدم اللامبالاة وهــذا ما لانرضاه لجمال الأفكار عندها .. وآمل أن يكون صدرها رحبـا لكل الآراء التي لا شـك ستكون في صالح فنها الكبير وازدهاره .. ثم .. ثم لندع (اليهم) للذين جاروا وافتروا ونسير في درب (دمـوع مشرقة) حيث نستحب رؤية البريق الزاهي في العيون الحلوة . فالشــاعرة ترمز للذات عندها الى الشمعة وتستعير منهـا جمال الضوء وروح الحيـاة . ولنسمع شريفة تناجي ظلها في خيال شمعة :

مهلا تأمل في حيــاة الشمعة
كم فيهـا عبرة وكم من حكمة
في وجههـا اشراقة من بسمة
لالاءة في حالكات الظــلمة

وتقول :

وسموت في دنيا الفنون بشقوتي
فنظمت اشــعاري بأنة آهتي
ماكنت ارضى أن أرخص دمعتي
فانا اقدس في الحيـاة كرامتي

هذه القصيدة متأثرة الى حد بعيد بأفكار قصيدة (اليهم) فيها احساس صادق عن الألم المستوطن في فؤاد الشاعرة وقد مزجته بالألوان الزاهية المنمقة كيما تخلق منـه لوحـة فنيـة مكتملة التعبير . والارتباط في القصيدتين ظاهر .. فبالأولى استخدمت الشاعرة الضمير لتعبر عن المضمون ، وفي الثانية استخدمت الرمز لتـدلـل الى المضمون ..

اما في قصيدة (بلاخطيئة) نلمس الرومانسية قد تجلت في الأبيات وفي المعنى .. وهي تصـور الانســان بكل انسانيته .. بقلبه الخافق .. بنبله السامي .. بعذره الظاهر .. بحبه المتلون . والشاعرة تقول في هذا :

فاذا تلاقت نظـرتي بلحاظه
الفيتها أغـوى من الشـيطان

فهو العزوف عن الهوى بلسانه
وعيونه تدعو بألف لسـان
اجسادنا.. لا.. لم تمس خطيئة
ابدا .. وان اثمت لنا عينان

حتى الورد وفتنته فقد اخذ مجاله فى خيال الشاعرة .. لقد ابت ان تمضى فى تحليل الذات فى شعرها دون ان تمر على الزهور .. على الفل والياسمين .. والبنفسج والريحان .. والربيع من حولها ساحر ناضر ، يسعد النفوس بظلاله ، وينعش القلوب بهجة ومحبة ، ويعيد للانسان ذكريات حلوة فيها صفاء الخلود لروحه ووجدانه، والربيع عند شريفة قصة تقول فيها :

يا من عشقت من الربيع جماله
انا لا الومك من الهوى أو اعتب
ان كنت تعجب بالجمال فاننى
بالحسن ايضا ياصديقى اعجب والخ ..

وتقول واصفة لنا الورد قائلة :

والورد يحكى قصـة العشاق
فى لونه شـعل من الأشـواق
هـو بهجة الهيمان يوم تلاق
ولواعج الولهـان يوم فراق

وتقول ..

والنرجسات الناعسـات دلالا
صـاغ الغرور قوامها المختالا
فاذا أتى صب يريد وصـالا
جاوبتـه فى كبرياء لا ... لا

هناك قصيدة وطنية قد تكون وقعت سهوا فى التحليـل الأدبى الا اننى اردت ان انهى بهـا الدراسة لهذا الديوان لما فيها من صدى يخالج نفسى.. ويشعرنى بحدث اليم عشته بين صيحات الرجاء والاستنكار . عشته هنـاك فى سـفح قاسيون الشامخ وارضه الحبيبة .. يوم هبت على سورية زوبعة التمرد والعصيان . يومذاك انطلقت الدموع من العيون، والآهات من الصدور، والزفرات الثكلى من القلوب .. والكل .. الكل يهتف .. الوحـدة .. الوحدة يا ناصر خاطرة سريعة مرت على وانا أتابع صيحة المراة العربية التى تؤمن بالقضية الوطنية الكبيرة .. ولنسمع الشاعرة تحكى قصة الانفصال اللئيم :

حزب تسـلط وافترى فى ظلمه
والشعب بركان على الطغيان ثائر
كيف استباح مقدسـات بلاده
ولأى مصـلحة بوحدتها يتاجر
يا آل سورية احسموا ما بينكم
افتخذلون النصر فى يوم البشائر
ضموا الصفوف على الاخاء وجاهدوا
والله فوق جهـادكم للحق ناصر

وهكذا تمر بنا الشاعرة فى معارج الوطنيـة والحب ، وتعطينا حلاوة شفافة ، لذيذة صوفية مرة ، قلقـة اخرى ، رومنطقية حينـا . لأن الخيال عانق الشاعرة بالفة . والخيال من أهم عناصر الشعر . وفى الديوان أيضـا خطرات لا تزيد على شطرين او ثلاثة ارادت الشاعرة ان تحملهما عنوانا اكبر من المعنى كأبيـات زورق الأحـلام .. متى .. سحابة صيف .. سرى الهوى الخ . هذه خطرات وليست بقصائد كاملة الأجزاء ولا المعنى ولو ان الشاعرة ضمت خطراتها المذكورة بصفحة واحدة لبلغت غاية المرام . وفى كلا الحالين هذه تجربة اولى للشاعرة مع دواوين الشعر اقدمت عليها بايمان ، ولقـد ماكانت موفقة فى اختيارها للقصائد الرائعة التى لا تقل بمستواها الفنى عن اية شاعرة عربية .. ففى الديوان قصائد حلوة منغمة . اصداؤها سكر.. وعبيرها فواح الشذى . فيها صدق الواقع .. وصدق الشعور . وشريفة فنانة موهوبة يعيش فى مطاوى نفسها ذوق أصيل . وقـد ادركت قيمة هذا الذوق الشعرى فدعمتـه بالمقومات الفنية التى تثبت وجـوده وليقف بين انداده شـامخا يعلن عن كنوزه وعن شاعريته المبدعة الفياضة بالعمق وبخيال وثاب ، وجرس شاعرى جذاب ، ووجد مشرق ، ونداء ملتهب الحماس لحياة تحلم بالجمال المطلق فى فلسفة صوفية ، وترانيم اخاذة حلوة .

فالى شاعرتنا الفنانة التهنئـة بمولودها الأنيق والى ديوانها الرواج المزدهر .

منوّر فوال

كيف نفهم سلوك الأطفال



تأليف: جرترود دريسكول

ترجمة: الدكتور رشدي فام منصور

مراجعة وتقديم: محمد السيّد روحه

الناشر: دار النهضة العربية
بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين
١٥٠ ص ١٤X٢٠ ش ١٣٫٥ قرشا

لقد اصبح من المتفق عليه بين رجال التربية ان وظيفة المربى هى تشجيع نمو الفرد فى شتى النواحى ، لا فى الناحية العقلية فحسب ، فقد تحقق المربون من أن النمو العقلى للطفل لا يتحقق اذا أهملت جوانب النمو الأخرى .. فما العقل الا جزء من الكائن الحى لا يقوم بوظيفتــه على الوجه الأكمل الا اذا تحققت شروط الصحــة الجسمية والنفسية أولا ، وما من شك فى ان اى اضطراب جسمى او اجتماعى او انفعــالى يعطل من قدرة الطفــل على التفكير والتذكر والاستجابة السوية الواجبة .

من أجل هذا ، أصبح الهدف الأســاسى للتربية هو تنمية جميع جوانب شخصية الطفل، مع الفهم العميق لكافة مشــكلاته السلوكية ، وأصبح لزاما على كل مشتغل بالتربية والتعليم أن يكون على جانب كبير من المعــرفة والدراية بمشكلات الأطفــال الســلوكية .. دوافعها وأسبابها ، وطرق علاجها وتوجيهها .

والكتاب الذى نعرضه اليوم يتناول هـذا الموضوع باسهاب وتفصيل ، بل وتغلب عليــه الصبغة العملية مما يساعد المشتغل بالتربية والتعليم على تفهم مشكلات السلوك عند الأطفال، ويعينه على حل تلك المشــكلات دون ماحاجة كبيرة للرجوع الى الخبراء فى ميدان التوجيــه والارشــاد . والباب الأول من الكتاب يتنــاول الفرص والمجالات المتاحة لدراسة سلوك الأطفال وتوجيههم بالشرح والتحليل مبينا الدور الذى تلعبه قاعة الدرس والملاعب وأوجه النشــاط خارج المدرسة ثم اتصــالات الآباء والمعلمين فى

هذا المجال . ففى قاعة الدرس يمكن للمدرس تنمية انماط سلوكية جديدة فى شخصية الطفل عن طريق تنظيم المنهج بحيث تدور محتوياته حول ميول الأطفال واهتماماتهم ، وبذلك يختفى قيام الطفل بدور المستمع السلبى الذى يردد ما يسمعه كالببغاء دون فهم أو وعى ودون أن تؤثر هذه المعلومات التى يرددها تأثيرا يذكر فى تعديل سلوكه الفعلى ، فالمعلم فى الواقع ، يواجه اطفالا ، يختلف كل منهم عن الآخر فى تناوله لأية مشكلة او استجابته لها ، ولكل منهم خصائصه المعنية ، وعندما تكون المواد الدراسية والخبرات التعليمية اداة ووسيلة من وسائل انماء شخصية الطفل بدلا من أن تكون هدفا فى ذاتها ، فان هذا يزيد من فرص تنوع استجابة التلاميذ لهذه الخبرات ، وخاصة اذا شجع الأطفال على الاستجابة الحرة عن طريق التمثيليات والتعبير الانشائى والموسيقى والمواد الفنية .. حيث تتاح الفرصة للمعلم للتعرف على الفروق السلوكية بين الأطفال بشكل أكبر ، ومن ثم علاجها وتوجيهها الوجهة السليمة . فدراسة مايعبر عنه الطفل فى كتاباته فى موضوع الانشاء يكشف الكثير من مخاوفه ورغباته وشكوكه ، وعن طريق التمثيليات .. يمكن التعرف على الأطفال ذوى القدرة البالغة على التخيل ، والذين يعانون فى الوقت نفسه من صعوبة التعبير عن انفعالاتهم فهم يشعرون بحرج شديد اذا ماقاموا بادوار تمثيلية تتطلب منهم التعبير عن انفعالاتهم ، لأن التعبير الانفعالى بالنسبة لهم أمر غير مرغوب فيه ، وعن طريق التعبير الفنى للطفل بالرسم والألوان قد نلاحظ تكرار حالة مزاجية معينة المرة بعد المرة ، كالتعبير عن الفرح أو الحزن او الطمأنينة او الوحدة وما الى ذلك من الأحاسيس الوجدانية الانفعالية التى تعتبر ادلة اضافية للمدرس تسهم فى القاء الضوء على الحياة الانفعالية للطفل .

اما فى الملاعب ، فتتاح للمعلم فرصة نادرة كى يتعرف الفروق السلوكية بين الأطفال ، ففى هذا الجو البدائى المفعم بالتنافس يستطيع المعلم بسهولة تمييز الأطفال الذى يتميزون بالايجابية والنشاط الزائد من أولئك الخجولين الذين ينتحون جانبا ، وأولئك الذين يقفون موقف المتفرج ، ثم ارجاع كل تصرف من تلك التصرفات الى دوافعه الحقيقية وعلاجه .

وسوف يجد المدرس مثلا .. ان الأطفال الذين لم تتح لهم فرصة تدريب عضلاتهم الكبيرة ، لا يتم التوافق الحركى عندهم بشكل طبيعى ، وبالتالى يجدون مشقة فى اتقان المهارات الدقيقة المتخصصة التى تعتمد على العضلات الصغيرة ، كما تتأثر استجاباتهم ومهاراتهم أيضا تبعا لذلك ، لأن احداث اى توافق مبنى على استخدام عدة أعضاء يتطلب التدريب العضلى الذى يكفل التوافق الحركى كما يتطلب استجابة حسية يقظة تعتمد على سلامة الرؤية والسمع ، وعلى ذلك فاى خلل فى اى من هذه العوامل يؤثر على استجابة الطالب ومدى مهارته .

اما أوجه النشاط خارج المدرسة فتتيح للمعلم فرصة التعرف على أنواع الخبرات التى يتعرض لها كل طفل من الأطفال ، ونوع استجابته لها ، كما تتيح له فرصة التعرف على البيئة المنزلية ونوع الضغوط الاجتماعية التى يتعرض لها الطالب ودرجة تأثيرها فى سلوكه ومن ثم يستطيع المعلم ان يحدد نوع الخدمات والمساعدات التعليمية ونوع التعليم الاجتماعى الذى يحتاجه الطالب .

وتتيح اتصالات الآباء والمعلمين — للمعلم والأب على السواء — ان يتعاونا عن طريق تبادل المعلومات والتفكير المشترك (المبنى على الثقة المطلقة) فى رسم السلوك الملائم للطفل ، والخطط والوسائل التى تكفل تحقيق هذا الفرض سواء فى البيت او فى المدرسة .

ثم يتناول الكتاب الطرق التى نستطيع بها دراسة سلوك الأطفال وخاصة طريقة الملاحظة وتحليل النتائج مبينا كيف ان السلوك ماهو الا استجابة الكائن لموقف ما .. ولكن يجب أن نضع فى الاعتبار ان هذا السلوك قد لا يقتصر على الاستجابة المتوقعة ، بل يتناول أيضا اثر اى ضغط داخلى يحس به الكائن وقت اتيان

هذه الاستجابة فاذا ما استطاع المدرس ان يضع نصب عينيه دائما ان سلوك الأطفال مهما بدا غريبا شاذا فان له اسبابه .. اذ سوف يدفعه هذا الى التدقيق فى الملاحظة لاستقصاء انواع الضغوط غير العادية التى يتعرض لها الأطفال فتسبب لهم البلبلة والاضطراب ، وتسم سلوكهم بالغرابة والشذوذ .

ومن هنا كانت أهمية الملاحظة الدقيقة لسلوك الطفل وتسجيله اولا بأول سواء فى الأيام العادية او غير العادية وسواء اكان ذلك أثناء النشاط الموجه من قبل المدرس او اثناء نشاط الطفل التلقائى وكذلك فى حالات المزاج الصافى او المزاج العكر ، ومع وصف الاستجابة بالضبط وبيان الموقف الذى تمت فيه بدقة ، والابتعاد تماما عن استخدام الألفاظ الغامضة .. أو التى تحتمل التأويل سواء فى وصف الاستجابة او الموقف حتى يمكن رسم صورة شخصية دقيقة لكل طفل عن طريق فحص ودراسة تلك الأوصاف المتجمعة ، وبذلك تتيسر للمدرس معرفة الأسباب المحتملة وراء السلوك سواء اكانت تلك الأسباب متعلقة بحياة الطفل الاجتماعية او الانفعالية أو بنوع الخبرات التى تعرض لها الطفل وانواع الصراع التى عانى منها.

وما من شك فى أن نجاح المدرس فى الكشف عن هذه الأسباب يفتح أمامه فرص العلاج المناسب وتهيئة الظروف والأجواء التى تساعد على تحقيق حاجات الطفل النفسية والانفعالية بطريقة سوية .

والكتاب فى جملته مرجع هام للدراسات الخاصة بالأطفال فهو يتناول بالدراسة مستويات النمو الجسمى والاجتماعى والانفعالى عند الأطفال مع شرح واف للدلالات التى تعين على تقديرها وتحديد مستواها بالنسبة الى العمر الزمنى كما انه يتناول بالدراسة انماط السلوك العدوانى والانسحابى والكيدى او الايذائى مع بيان دلالة ومغزى وأسباب كل نمط منها ويورد امثلة تطبيقية لطرق مساعدة الأطفال فى تلك الحالات .



وفى النهاية يتحدث الكتاب عن الدور الأساسى الفعال الذى يقوم به المدرس كحليف وموجه للطفل ، وخاصة فى السنوات الأولى من الحياة المدرسية ، وكيف أن المدرس القادر على ان يؤسس علاقة سوية فى العمل مع الأطفال ، يؤثر تأثيرا بالغا فيهم ويغرس فى نفوسهم معانى الصداقة والتعاون التى تؤثر تأثيرا بالغا فى اسلوب حياتهم وتعاملهم مع الغير فيما بعد ، ويبين الكتاب التوجيهات التى تعين المدرس على اداء دوره ليشبع حاجات كل طفل بوصفه رائدا وموجها فى مختلف المراحل الدراسية.. وبوصفه انسانا متفهما ناضجا يهتم بحاجات نمو الأطفال فى فصله ، وتتبع طرق التدريس ومادته بالتالى من حاجات نمو الأطفال الأفراد ومن العلاقات المتبادلة الموجودة داخل الفصل وليس من مادة دراسية معينة ... يساعده فى ذلك ادراكه لعلاقات الطفل الانسانية ومعرفته حتى يساند النظام الذى تتبعه الأسرة مع طفلها ، ومتى يشجع النظام والاستقلال ومتى يتتبع الخطأ عند وجوده ومتى يحاول تجربة نظام جديد ومتى يظهر اهتماما موضوعيا بالطفل ومتى يظهر له اهتماما شخصيا .. وبذلك يصبح دور المدرس فى تربية الأطفال ، هو البحث فى كيفية اتاحة الفرص لنموهم بدنيا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا عن طريق فهمه لسلوكهم .. ويصبح دور التربية وهدفها هو انتقاء الخبرات التعليمية التى تتيح للأطفال اكبر قدر ممكن من الشعور بالرضا والنجاح بالنسبة للعمل الذى يؤدونه.. ومن هنا كانت اهمية هذا الكتاب كمرجع غنى بالمعلومات والخبرات التى يحتاجها كل مشتغل بالتربية والتعليم لفهم سلوك الأطفال .

حسنى عبد العزيز

الصحافة فى مجتمعنا الديمقراطى



تأليف: الدكتور محمد عبد القادر حاتم

الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر

٦٠ ص ١٤×٢٠ - الثمن قرشان

هذا البحث الصغير فى حجمه الكبير فى مدلوله، العميق فى مغزاه، يعطينا صورة صادقة لوضع الصحافة فى الوقت الحاضر وما كانت عليه فى الماضى وما ينبغى أن تكون عليه صحافة المستقبل. فهو يرسم لنا بوضوح علامات الطريق البارزة التى يجب أن تهتدى بها الصحافة فى بلدنا لتغدو صحافة عالمية كبرى.

ويناقش المؤلف فى هذا البحث حرية الصحافة - تلك القضية الكبرى التى كانت محل جدال وصراع بين الكثير من المؤلفين والأدباء فى العالم .. ولا شك ان الصحافة تريد أن تكون حرة تنشر ما تشاء دون قيد أو رقيب، ولهذا نجد بعض الكتاب يطالبون بأن تكون الصحافة فوق السلطات جميعا. كلمتها مقدسة، ومنبرها يعلو كل شىء عداها. ومن بين هؤلاء الكتاب «الفريد ناكيه» عضو مجلس النواب الفرنسى الذى اقترح على مجلسه فى عام ١٨٧٦ الغاء جميع القوانين المؤيدة لحرية الصحافة، كما جاء «توماس جيفرسون» الأمريكى بعد ذلك بعشر سنوات فقال: «حريتنا متوقفة على حرية الصحافة» .. أى انه وضع حرية الشعب بأسره فى كفة وحرية الصحافة فى كفة أخرى، وتكون الهاوية اذا ما اختل الميزان.

وتأكيدا لحرية الصحافة فقد قدم الدكتور حاتم لبحثه بهذه الكلمات المأخوذة من ميثاق العمل الوطنى: «ان الكلمة الحرة ضوء كشاف أمام الديمقراطية السليمة .. ان حرية الكلمة هى المقدمة الأولى للديمقراطية .. حرية الكلمة هى التعبير عن حرية الفكر فى أى صورة من صوره ... كذلك فان حرية الصحافة - وهى ابرز مظاهر حرية الكلمة - يجب أن تتوافر لها كل الضمانات».

فالديمقراطية اذا لا تتحقق مالم تكن هناك حرية للصحافة، ولكن البلدان الديمقراطية للأسف أحالت هذه الكلمة الى مجرد حبر على ورق. فالصحافة فى الدول الغربية تخضع لسيطرة راس المال فهى مجرد سلعة تباع وتشترى، تدافع عن مصالح من يدفع أكثر. انها تفتح قلبها وتخصص الجانب الأكبر من صفحاتها لا لخدمة الحق والعدل ولكن لخدمة أصحاب رأس المال. انها تقبض الثمن ولا يهمها بعد ذلك ان كان ما تنشره أكاذيب أم حقائق. الاثنان عندها سواء - وهكذا تنتشر الأكاذيب والأباطيل. وقد ادركت الصهيونية هذه الحقيقة فاستطاعت ان تشترى ٨٨٩ صحيفة فى العالم تدافع عن وجهة نظرها وتؤيدها فى مزاعمها.

والصحافة فى الدول الشرقية تخضع لهيئات معينة مثل الجيش والحزب ، وكل همها هو ان تعبر عن وجهة نظر هذه الهيئات ، وهى بهذا الوضع لا تستطيع ان تعبر عما يجول بخاطر الملايين من أبناء الشعب . ان كل ما يهمها هو ارضاء هذه الهيئات التى تخضع لسيطرتها . وهكذا تضيع حرية الصحافة .

أما حرية الصحافة فى بلدنا فقد كانت ضائعة قبل ثورة ٢٣ يوليو والسبب هو : « القوانين الصارمة التى وقفت بالمرصاد لحرية النشر وفرضت بالتشريع محظورات ترتفع على النقد ، وتخضع الصحافة للمصالح الحاكمة عن طريق قوانين النشر الظالمة وعن طريق الرقابة التى وقفت سدا حائلا دون الحقيقة وكذلك بسبب تزايد احتياجات المهنة نفسها لمعدات التقدم الآلى ، بحيث لم يعد فى قدرتها الا ان تخضع لرأس المال المستغل وأن تتلقى منه ـ وليس من جماهير الشعب ـ وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية » .

وقد استطاعت الصحافة ان تؤدى رسالتها كاملة فى السنوات العشر التالية للثورة . وقفت فى المعارك المريرة التى خاضها الشعب . وجهت كل أسلحتها للدفاع عن قضايا الحق والعروبة ومبادىء الثورة المجيدة ، ومهدت الأذهان لكثير من المبادىء التى اعتنقناها مثل التعايش السلمى والحياد الايجابى .. وأظهرت للعالم كله مدى التقدم الضخم الذى تحرزه بلادنا فى كافة الميادين، واصبحت ـ بحق ـ النافذة المضيئة التى يطل منها الشعب على منابع الفكر ومناهل الثقافة والحضارة فى العالم . ولعبت دورا حيويا هاما فى القضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال والاستغلال والفساد .

وقد ذكر الدكتور حاتم بعض هذه الانتصارات التى احرزتها الصحافة . وكنا نود لو أطال فى هذه الناحية وشرح باسهاب خفايا وأسرار الدور الخطير الذى أدته وتؤديه صحافتنا وذلك حتى يطلع العالم كله على سر هذه الانتصارات وحتى يعرف الشعب صفحة بيضاء من تاريخ الصحافة فى بلدنا .

وفى الفصول التالية يتحدث المؤلف عن تمليك الصحافة للشعب وتنظيم الصحافة والأسباب التى دعت الى اتخاذ هذا القرار واستقلال الصحافة عن السلطة التنفيذية وعن حرية الصحافة فى ظل القانون . ففى ٢٤ مايو ١٩٦٠ صدر قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة الخاص بتنظيم الصحافة . وتقول المذكرة التفسيرية لهذا القانون : « ان ملكية الشعب لوسائل التوجيه الاجتماعى والسياسى أمر لا مناص منه فى مجتمع تحددت صوره باعتباره مجتمعا ديمقراطيا اشتراكيا تعاونيا ، بل ان ذلك الوضع يصبح نتيجة منطقية لازمة لقيام اتحاد قومى (الاتحاد الاشتراكى العربى الآن) يوجه العمل الوطنى الايجابى الى بناء المجتمع على أساس من سيادة الشعب وتحمله بنفسه مسئوليات العمل لاقامة هذا البناء » .

« واذا كان منع سيطرة رأس المال على الحكم من الاهداف الرئيسية الستة للثورة باعتباره أحد الطرق القويمة الى اقامة ديمقراطية حقة فان هذا يستتبعه بالتالى الا تكون لرأس المال سيطرة على وسائل التوجيه » .

فالصحافة اذا جزء من التنظيم الشعبى الذى لا يخضع للجهاز الادارى ، كما أنها قد خلصت من تحكم رأس المال ومن الرقابة غير المنظورة . والصحافة حرة ، وقد أكد حريتها من جديد دستور ٢٥ مارس ١٩٦٤ فى مادته رقم ٣٦ والتى تقول :

« حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة فى حدود القانون » . وهذه الضمانات التى احاط بها المشرع حرية الصحافة تؤدى الى جعل الصحفى يؤدى رسالته على أكمل وجه وبذا تصبح الصحافة مرآة الشعب التى تعكس آماله وآلامه ، وصوت الجماهير الذى يدوى فى كل مكان معلنا الحقائق للعالم قاطبة . انها سلاح الشعب الحاد الذى يشهره فى وجه الباغين

والمعتدين وكل من تسول له نفســه ان يتلاعب بقوت الشعب أو مصائره .. انها ـ باختصار ـ الضوء الكشاف الذى ينير الطريق امام الراى العام ، ويصور حاله ، ويعمل على توعيتــه ، ويساهم فى ايجاد الحلول للمشكلات التى يعانى والعقبات التى تعترض طريقه .



وفى الباب الذى اسماه المؤلف « نظرة الى المستقبل وتوجيهـات السيد الرئيس » نجـد لمسات انسانية فياضة تنساب الى نفوسنا من خلال تصريحات وتوجيهات وملاحظـات رائد العروبة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ـ تلك الملاحظات الجريئة التى اعلنها سيادته فى اجتماعه برؤساء تحرير الصحف فى ٢٩ مايو ١٩٦٠ عقب صدور قانون تنظيم الصحافة . وكان من بين ماقاله فى مجال انتقاده للطريقة التى يكتب بهـا باب المجتمع فى صحفنا :

« هذا المجتمع بالطبع مش مجتمع القاهرة ولا النادى الأهلى ولا نادى الزمالك ولا السهرات بتاع الليل ـ ابدا مش هو ده اللى احنا عاوزينه مش هى دى بلدنا بأى حال من الأحوال ـ بلدنا هى كفر البطيخ ـ القرية .. اى قرية .. وانا اقول كفر البطيخ كمثال .. لو تطلع على دمياط تلاقى بلد اسمها كفر البطيخ هى دى بلدنا .. هى دى نموذج بلدنا وهنـــاك مشــاكل بلدنا الحقيقية .. بلدنا هى كفر البطيخ . اللى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هناك ويشوف الناس اللى لابسين برانيط قش الارز طول النهـــار لكى يعيشوا ـ دى بلدنا ، بلدنا ماهياش ابدا ان فلانة اطلقت أو فلانة اتجوزت ولا فلانه طلعت تجرى وراء فلان وسابت علان ابدا ـ انا تكلمت فى ٢٣ يوليو الماضى عن هذا الموضوع بالذات ويمكن كنت اريد الفت نظر الجرائد ولكن مع الأسف محدش فهم ـ محدش فهم ماهياش دى بلدنا انا مالى ان فلانة تجرى مع فلان أو علان . هذا الموضوع مايهمنيش انا بأى حال ـ ولا يهم الرجل الموجود فى القرية ـ ولما كنت افضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات ان يكتب عن العاملات مثلا ـ فيـــه عاملات طلعوا ياكلوا عيش بعرق جبينهم ويكافحوا بشجاعة وشرف » .

ان هذه الملاحظـــــات التى ابداها السيد الرئيس تدل على فهم ووعى تام بما كان ينشر فى مجتمعنا منذ ٤ سنوات خلت وما قبل هذا التاريخ .. ان الصحفى يخـرج منهـــا بأفكار موضوعات كثيرة لم يسبق نشرها وتتميز فى نفس الوقت بالاصالة والعمق . وقد استوحى منهـا الأستاذ سعد الدين وهبه مسرحيته المعـروفة « كفر البطيخ » ثم « كوبرى الناموس » .. كما قلبت هذه التوجيهات باب المجتمع فى صحفنـا رأسا على عقب فلم يعد قاصرا على ابناء العاطلين بالوراثة . ان هذه الأنباء اصبحت اليوم تلقى فى سلال المهملات . ولو اننا تصفحنا باب المجتمع فى اية صحيفة أو مجلة عندنا اليوم فلا شك اننا نجده يمثل الغالبية العظمى من ابناء الشعب ـ ابناء الفلاحين الكادحين والعمال والعاملات فى المصانع والمؤسسات . واصبحت الصحافة الآن تتكلم عن مشكلات الشعب الحقيقية ـ مثــلا مشكلات الاسكان والغلاء والمواصلات . وهى تحاول ان تجد الحلول السريعة المناسبة لهـذه المشكلات . ان بابهـــا مفتوح دائمــا لآراء المتخصصين فى كافة المجالات كما انهـــا تنشر اقتراحات المواطنين العاديين . بنفس الالفاظ التى يكتبون بها . بنفس الأسلوب الذى يفهمونه. لقد اصبحت الصحافة منهم ولهم ، والفضــل فى ذلك يعزى الى توجيهات وارشادات السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

سعد زغلول سراج

أخبار الكتاب العربي في العالم

يقدمه مدير التحرير

● « افريقية » هـذا المارد الجبار الذى خرج من القمقم فى السنوات الأخيرة ليدك معاقل الاستعمار ويحطم أغلاله التى كان يكبله بها . ويرغمه على أن يحمل عصاه على كتفيه ويرحـل مدحورا محسورا . هذه القارة التى أصبحت اليوم محط أنظار العالم تتنافس الدول الكبرى على خطب ودها أو التحـايل على التمكين لسيطرتها فيها بشتى الصـور ، والتى بدأت تأخذ بأسباب الرقى والتطور والتنمية بعـد يقظتها أصبح لزاما على الجمهورية العربيـة المتحدة التى تعد فى طليعة دول هذه القارة ، والتى كان لثورتها التحررية فضل ايقـاظ الشعور التحررى فى هذه القارة ، أن تكون لها سياسة افريقية واهتمام خاص بتنمية الروابط بينها وبين هذه الدول .

وفى ظل هذه السياسة رات « الدار المصرية للتأليف والترجمـة » ان الواجب يحتم عليهـا امام الحشد الضـخم من الكتب التى تخرجها المطابع العالمية فى دراسة هذه القارة من جميع نواحيها ، أن تصدر هى سلسلة للدراسـات الافريقية تقوم على الترجمة والتأليف ، فشكلت لهذا الواجب « **لجنة الدراسات الافريقية** » المؤلفة من الأستاذ الدكتور محمد عوض محمـد وزير المعارف السابق والأستاذ محمد فائق مستشار الشئون الافريقية برياسة الجمهورية والأستاذ ابراهيم زكى خورشيد رئيس مجلس ادارة الدار والدكتور محمد محمود الصياد وكيل كلية البنات بجامعة عين شمس والدكتور عبد العـزيز كامل الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القـاهرة والدكتور ابراهيم صقر والدكتور عبد الملك عودة الأستاذين المساعدين بكلية الاقتصاد بجامعـة القاهرة ، لتختار هذه اللجنـة من بين الكتب الأجنبية أجودها وانزهها غرضا ، ويوكل أمـر ترجمتها ومراجعتها الى المتخصصين فى الشئون الافريقية ، كما يسـند الى هؤلاء المتخصصين تأليف كتب فى شتى الموضوعات التى تحيط بهذه القارة ، وخاصة ما تتناوله الكتب الأجنبية من تلك الموضوعات تناولا يشوبه الهوى أو لا يفى بالغرض . وأن تصدر تلك الكتب تحت عنـوان « **دراسات افريقية** » .

وستصدر قريبا فى هذه السلسلة هـذه الكتب :

« **الشعوب والسلالات الافريقيـة** » تأليف الدكتور محمـد عوض محمد ، و « **القوميـة الافريقية** » تأليف سيتهول وترجمة خديجة مراد ومراجعة الدكتور محمـد محمود الصـياد ، و « **موجز تاريخ افريقيا** » تأليف ر . أوليفر وفيج وترجمة الدكتورة دولت صادق ومراجعة الدكتور محمد السيد غلاب ، و « **قصص شعبية افريقية** » تأليف يونى لين وترجمة محمـد كامل كمالى

ومراجعة الدكتور محمد سمير عبد الحميد ، و ((**افريقية فى مفترق الطرق**)) تأليف أحمد طاهر ، و ((**رحلة أوليا جلبى الى مصر والسودان والحبشة**)) تأليف أوليا جلبى وترجمة حمزة طاهر ومراجعة الدكتورين عبد الوهاب عزام وأحمد السعيد سليمان ، و ((**الفنون الافريقية**)) تأليف مرجريت ترويل وترجمة مجدى فريد ومراجعة صلاح طاهر ، و ((**البرتغال فى افريقية**)) تأليف جيمس دافى وترجمة عبد الرحمن صالح ومراجعة الدكتور محمد محمود الصياد ، و ((**ثورة الجزائر**)) تأليف جوان جليسى وترجمة عبد الرحمن صدقى أبو طالب ومراجعة الدكتور راشد البراوى ، و ((**سد عال فوق النوبة**)) تأليف ليزلى جرينر وترجمة على جمال الدين عزت ومراجعة الدكتور محمد جمال الدين مختار .

على أن توالى اصدار ما يتم تأليفه أو تتم ترجمته ومراجعة من كتب أخرى مقترحة . ومن رأى اللجنة أن لا مانع من اعادة ترجمة ما سبق نشره فى ترجمات ناقصة أو مشوهة .

ومن بين ما قررت نشره كتاب عن ((**الاسلام فى افريقية**)) عهد بتأليفه الى الدكتور عبد العزيز كامل ثم ترجمة ((**الأطلس التاريخى الافريقى**)) الذى ألفه فيج Fage .

● سيظهر فى ((مشروع المكتبة العربية)) الذى تقوم عليه وزارة الثقافة والارشاد القومى، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والدار المصرية للتأليف والترجمة، والدار القومية للطباعة والنشر ، كتاب ((**الفكر والثقافة فى الشمال الافريقى**)) للأستاذ انور الجندى ، يقدم فيه مؤلفه معلومات طيبة للفكر العربى فى بلاد المغرب والجزائر وتونس وليبيا منذ سنة ١٨٣٠ - وهو عام احتلال الجزائر - الى سنة ١٩٥٤ حيث استقل المغرب وتونس . وهو يقدم صورة حية وفكرة واضحة عن حركة اليقظة القومية فى هذه المنطقة من الوطن العربى وروادها ومراحل تطورها . كما عالج فيه قضايا التعريب واللغة والشعر والقصة هناك ، وترجم لكثير من أعلامها ، وما نشر هناك من المؤلفات .

وقد قام بفحص هذا الكتاب واعادة النظر فيه واعداده للنشر الدكتورة عائشة عبد الرحمن والأستاذ محمد عبد الغنى حسن عضوا لجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

● وتنظر لجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى أمر اعادة طبع مؤلفات المرحوم **حفنى ناصف** ورسائله ومحاضراته التى نفدت طبعاتها او التى لم تطبع من قبل .

● ستقوم «الدار المصرية للتأليف والترجمة» بنشر **ديوان الشاعر العراقى ابراهيم ادهم الزهاوى** الذى قام بجمعه وتحقيقه الأستاذ عبد الله الجبورى ، أمين مكتبة الأوقاف فى بغداد .

وقد عهدت هذه الدار الى الأستاذ الدكتور شوقى ضيف بكتابة **دراسة تحليلية** لشعر هذا الشاعر الذى توفى منذ ثلاث سنوات .

● ظهر اخيرا كتاب عن الشاعر العراقى **خيرى الهنداوى** بقلم الدكتور يوسف عز الدين كاتم سر المجمع العلمى العراقى ، وهو مجموعة المحاضرات التى القاها فى معهد الدراسات العليا بجامعة الدول العربية . ويعد هذا الكتاب أول دراسة مستقلة عن هذا الشاعر الذى جمع بين أثر البداوة ورقة الحضارة ، وكان هذا الشاعر من أنصار الخلافة العثمانية ومؤيدى حزب الاتحاد والترقى ، حتى اذا تبين له ما يضمره الأتراك من شر بالعرب وبالصف العربى الموحد رجع عن مناصرتهم وانضم الى احرار العرب المجاهدين .

● تم طبع الجزء الثالث من ((**شرح أشعار الهذليين**)) لأبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى الذى تنشره ((مكتبة دار العروبة)) بالقاهرة بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ومراجعة الأستاذ محمود محمد شاكر . وكانت دار الكتب قد نشرت فى السنوات من ١٩٤٥ - ١٩٥٠ ثلاثة أجزاء باسم ((ديوان الهذليين)) الا ان الطبعة الجديدة تمتاز عن طبعة دار الكتب بأن عدد قصائدها ومقطوعاتها

٣٨٠ وعـــدد ابياتها ٤٦٠٠ فى حين أن عددها فى طبعة الدار ١٧٠ وابياتها ٢٣٠٠ كما ان عدد من روى لهم شعر فى الطبعة الجديدة ١٢٠ وهم ٣٣ فى طبعة دار الكتب .

وقد تضمن الجزء الثـالث الفهـــارس ، واهمها التخريج الوافى لأشعار الهذليين واضافة ما نسب الى كل شـاعر وتصحيح نسـبته ما أمكن . ثم معجم بالألفـــاظ اللغوية لأن فى اشعار هذيل معانى والفاظا لم ترد فى كتب اللغة أو وردت فى بعضها .

● تعيد « دار المعـــارف » طبع كتـاب « **أبو مسلم الخراسـانى** » للأسـتاذ محمد عبد الغنى حســـن ، وكانت قـد نشرته فى سنة ١٩٥٩ وفيه يجلو حياة هذا القائد الذى كان ركنا من الأركان العتيدة التى قامت عليها الدولة العباســـية ثم لقى حتفه على يد ثانى خلفائها أبى جعفر المنصور حين خشى خطره على تلك الدولة الناشـئة واسـتفحال نفـوذه فى خراسان . وقد استقى المؤلف سيرة هذا الرجل من مصادر وأخبار تاريخية متفرقة .

● نشرت « مكتبة الآداب » بالقاهرة الجزء الثانى من كتاب « **روح الاسلام** » للعالم الهندى سيد أمير على الذى قصـــد من وراء عرضه لتاريخ الاسلام توضيح مكانه الحق فى تاريخ الأديان وقد قام بترجمة الكتاب فى جزءين الأستاذ أمين محمود الشريف ، وراجـــع الجزء الأول المرحوم الأستاذ محمد بدران ، أما الجزء الثانى فقد راجعه الأستاذ الدكتور محمـــد مصطفى بنشرها الادارة العامة للثقـــافة بوزارة التعليم العالى بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنـــون والآداب والعلوم الاجتماعية .

● اشرت فى هذا الباب من العدد السابع من هذه المجلة الى صدور طبعة جـــديدة مصورة بالأوفست من « **شرح ديوان المتنبى** » للواحدى فى المشروع الثقـــافى الكبير الذى اضطلعت به « مكتبة المثنى » ببغداد ، وحـــرص صاحبها الأستاذ قاسم الرجب على أن يسرع فى انجاز هذا المشروع الضخم فنشر فى خلال سنتين أكثر من ثلاثين كتابا من نوادر الكتب العربية ونفائسها مما سبق نشره فى أواخر القـــرن الماضى وفى النصف الأول من القرن الحالى فى أوروبا وأمريكا ومصر ، وكانت طبعاتها قد نفـــدت وارتفعت اثمان ما يوجد منها آرتفاعا خياليا .

ومن الكتب التى تم نشرها فى هذا المشروع فى كتب الجغرافيا أحد عشر كتابا منها : « **معجم البلدان** » و « **المشترك وضعا والمفترق صقعا** » ليـاقوت الحموى ، و « **المسالك والممالك** » لابن خرداذبه ومعها كتاب « **الخراج** » لقـــدامة بن جعفر ، و « **الأعلاق النفسـية** » لابن رسته ، و « **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** » للمقدسى البشارى ، و « **مختصر كتـــاب البلدان** » لابن الفقيـــه .

ومن كتب التاريخ والتراجم أربعـــة عشر كتابا منها : « **البدء والتاريخ** » لأبى زيد البلخى، «**تاريخ غرر السير**» المنسوب للثعالبى ، و « **الآثار الباقية عن القرون الخالية** » للبيرونى ، و « **طبقات المفسرين** » للسيوطى ، و « **طبقـــات الأطبـــاء والحكماء** » لابن جلجل ، و « **طبقات الحكماء** » للقفطى ، و « **تجارب الأمم** » لمسكويه ، و « **ولاة مصر وقضاتها** » للكندى .

وفى كتب الأدب : « **ديوان ذى الرمـــة** » و « **أخبار الحلاج** » و « **ديوان المتنبى** » .

وفى الدين والعقـــائد ستة كتب منها : « **كتاب المصـــاحف** » للسجستانى ، و « **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** » للسيوطى ، و « **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** » لابن حزم وبهامشه كتاب « **الملل والنحل** » للشهرستانى .

● صدر عن مطبعة الحيدرى بطهران « **شرح عينية ابن سينا** » التى مطلعها : « هبطت اليك من المحل الأرفع » للسيد نعمت الله الجزائرى الشوشترى من رجـال القرن الثـــانى عشر الهجرى . وقد قام بتحقيق هذا الشرح الدكتور حسين على محفوظ عضو لجنة الأدب فى المجمع العلمى الايرانى بطهران ، ورجع فى تحقيق العينية

الى ست وعشرين رواية منها رواية ابن عربي وابن ابي اصيبعة وابن خلكان وأبي الفداء وابن العماد وغيرهم .

● ويقوم الدكتور حسين على محفوظ بتحقيق كتاب **((بغداد مدينة السلام))** لابن الفقيه الهمداني صاحب كتاب « البلدان » .

● نشرت « دار الكاتب العربي » ببيروت كتابا جديدا للأستاذ أنيس المقدسي استاذ الأدب العربي بالجامعة الأمريكية في بيروت ، عنوانه **((الفنون الأدبية وأعلامها))** تناول فيه فن المقالة، وترجم فيه لطائفة من اعلام هذا الفن منهم : يعقوب صروف وشكيب ارسلان ومصطفى لطفى المنفلوطى ومحمد حسين هيكل وابراهيم المازنى . ثم فن الخطابة وترجم لطائفة من أعلامه امثال : عبد الله النديم وأديب اسحاق ومصطفى كامل ومى . ثم فن القصة ، وفن السيرة الموضوعية والذاتية ، وفن النقد ، والشعر . مع الترجمة لأعلام هذه الفنون في العصر الحديث .

● يعد الآن الأستاذ فاضل السباعى المحامى، ومن حاملى شعلة القصة الحديثة في سوريا ، رواية كبيرة بعنوان **((رياح كانون))** . وكانت « دار الآداب » ببيروت قد اعادت طبع قصته **((الظما والينبوع))** منفردة ومطولة بعد ان نشرها موجزة سنة ١٩٥٨ بعنوان **((ضيف من الشرق))** مع طائفة اخرى من قصصه في كتاب بهذا العنوان القديم . أما القصص الأخرى فقد نشرتها له مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت بعنوان **((حياة جديدة))** بعد ان ضم اليها قصة طويلة عنوانها « الحمام » .

وللأستاذ فاضل السباعى مجموعات قصصية سبق له ان نشرها من قبل من اشهرها رواية كبيرة عنوانها **((ثم أزهر الحب))** كانت قد صدرت عام ١٩٦٣ عن دار مكتبة الحياة ببيروت .

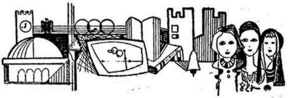
● حمل الى البريد الجزء السابع من السنة الأولى لمجلة قيمة تصدر شهرية عن وزارة الثقافة والارشاد في الجمهورية العراقية ، وتنهض بها هيئة تحرير تضم طائفة من أعلام الفكر في القطر الحبيب (العراق) ، هذه المجلة هي مجلة **((الأقلام))** . ومن موضوعات العدد الذى وصل الينا : « الضمان الاجتماعى في الاسلام » للأستاذ ناجى معروف ، و « تقييم موسيقانا العربية » للدكتور محمود أحمد الحفنى ، و « الطريقة السهروردية » للأستاذ عباس العزاوى ، و « دوافع التطبيق الاشتراكى » للدكتور ياسين خليل ، و « رأى في المنهج النقدى التاريخ » للدكتور جعفر آل ياسين ، و « المفهوم الأخير » للدكتور بدوى طبانة ، و « أثر الترجمة في تطور الفكر العربي الاسلامى » للأستاذ سليم طه التكريتى ، و « أضواء على الأدب الجزائرى المعاصر » للأستاذ فوزى عبد القادر الميلادى ، الى جانب كثير من البحوث الأدبية والقصائد والقصص . وهذه المجلة تحتل مكان الصدارة على حداثة عهدها .

وقد استرعى نظرنا في مقال عن « مكتبة الأوقاف ونوادر مخطوطاتها » بقلم الأستاذ عبد الله الجبورى اشارة الى كتاب **((تأويل مختلف الحديث))** لابن قتيبة الذى تحتفظ تلك المكتبة بأقدم مخطوط له ، فذكر الأستاذ الجبورى أن هذا الكتاب طبع بتحقيق الأستاذ السيد احمد صقر . ونحن نذكر هنا ان الأستاذ صقر لم يشرع في طبع هذا الكتاب بعد ، ولكنه نشر لأبن قتيبة كتابى **((تأويل مشكل القرآن))** و **((تفسير غريب القرآن))** ؛ كما أشرنا في خبر سابق هنا في هذا العدد .

● تصدر عن «مؤسسة الخانجى» مجموعة ضخمة من **رسائل الجاحظ** تضم ١٧ كتابا ورسالة في مجلدين كبيرين قام بتحقيقها الأستاذ عبد السلام هارون ، عن مخطوطة بمكتبة « دامات » في تركيا . وبعض هذه الرسائل تنشر لأول مرة مثل **((رسالة في نفى التشبيه))** ورسالة كتب بها الى أبي **الفرج بن نجاح** الكاتب . ومنها كتابان يعاد تحقيقهما مثل **((كتاب في البغال))** وكتاب **((مفاخرة الجوارى))** اللذين سبق أن نشرهما المستشرق الفرنسى شارل بيلا .

ويعاد الآن طبع كتاب **((الحيوان))** للجاحظ الذى حققه الأستاذ هارون من قبل بعد ان أعاد تحقيقه من جديد على مخطوطات منها نسخة بمكتبة الامبروزيانا .

حسن كامل الصيرفى



تعريفات

اليهودية بين المسيحية والإسلام

تأليف : خلف محمد الحسيني .
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٢١١ صفحة ١٧ × ٢٠ سم ث ١٠ قروش .

عندما نستعيد فى مخيلتنا نحن العرب احداث عام ١٩٤٨ الدامية ، وما جرى من نكبة فلسطين وتشريد مليون من أهلها ، نشعر بالأسى والخجل .. ولكن حين نستعيد فى مخيلتنا تاريخ اليهود الطويل والعلاقات بينهم وبين شعوب العالم وشعوب المنطقة العربية بوجه أخص نشعر بأكثر من الأسى والخجل .

ان تاريخ اليهود قديم فى فلسطين ، وهذا ليس معناه أنهم أحق الشعوب التى سكنتها بها ، هذا التاريخ يبدأ فى الحقيقة منذ خروجهم من مصر ، لتظهر النفس اليهودية على حقيقتها بما فيها من حقارة ودناءة وخسة . فكان تنكرهم لموسى وتخليهم عن عبادة الله ، وكان التيه الذى خرجوا منه ليغزوا فلسطين ، ولتبدأ مجازرهم الدامية هناك على يدى يوشع بن نون ومن تلاه من زعماء اليهود . نحن جميعا نعرف هذا ونعرف أيضا حبهم للمال واستغلالهم له لتحقيق أغراضهم ، فكثير من الحروب انما هى فى الحقيقة دبرت لخدمة اليهود او كان لهم ضلع كبير فيها .

فما السبب فى هذا ؟

ان السبب الأول هو كتب اليهود الدينية ، فهذه الكتب جرى بها من التحريف ما يستجيب لأغراضهم ويحققها ، كما انه استجد من هذه الكتب فى العصور التى تلت تدمير هيكلهم فى بيت المقدس وبخاصة كتاب التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون التى تجعل واجبا على اليهودى الا يؤذى اخاه اليهودى ، ولكن من واجبه ان يؤذى غيره مسيحيا كان أو مسلما ما دام فى هذا كسب له وما دام فيه ايضا خسارة لغيره من ابناء الأمم .

« ليمت جميع الناس ويحيا اسرائيل وحده » .

عبارة من التوراة فى ضوئها من الممكن ان نفسر ما جرى من مذابح دير ياسين والصبحة وقبية وغزة وكفر قاسم وفى ضوئها ايضا من الممكن أن نفسر قيام الحركة المعادية للسامية فى أوربا وما وصلت اليه على يدى هتلر والدعوة النازية ، وفى ضوئها نفسر موقف العالم الغربى وبخاصة الولايات المتحدة والمانيا الغربية من قضية فلسطين والقضايا العربية الأخرى .

ولعل آخر ما وصلت اليه اليهودية من افساد للأديان ، ما جرى من طبع القرآن طبعات مزورة محرفة وتوزيع هذه النسخ فى الأقطار الحديثة العهد بالاسلام والأقطار الافريقية الناهضة ، وذلك لزعزعة الايمان بالاسلام من ناحية والحد من انتشاره من ناحية أخرى ..

.. هذا بالنسبة للاسلام أما بالنسبة للمسيحية فان الضمير الحر يشمئز حين يعرف ما جرى من الصهاينة المتحالفين مع اسرائيل لتبرئة اليهود من دم المسيح وهو أمر تولت الكنائس الشرقية تفنيده ، يشاركها فى هذا أحرار الفكر من اتباع الكنائس الغربية .

ان المؤامرة اليهودية على المسيحية والاسلام تستهدف هدم الحضارة التى نعيشها اليوم وزعزعة اركان المجتمع من نواحيه كافة وهذا ما يستدعى ردا قويا وحاسما لردع المتآمرين ورد كيدهم الى نحورهم « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » .

آخر كلمات العقاد

اعداد وتقديم : عامر العقاد .

الناشر : دار المعارف بمصر — أقرأ — ١٢٤ صفحة قطع صغير ث ٥ قروش .

ليس العقاد — كما فى تقدير بعض المثقفين — دائرة معارف وحسب وانما هو دائرة معارف وزيادة ، والاتجاه العام الآن يميل الى تأييد هذا الرأى الأخير . وهذا الكتاب يؤكد أن العقاد كان فى قراءاته الكثيرة المتعددة يتمثل ما يقراه بعد فهم ودراية ، ثم يستمد منه رأيا جديدا ، اذا نسب الى مفكر عظيم فلا ينسب الى أحد غير العقاد . ويعد هذا الكتاب أحد الشواهد الدالة على هذا ، فقليل من المفكرين من يصل الى مستوى عال من الحكمة والى حدود بعيدة من السداد ، وفى هذا الكتاب يتضح الطريق للنفاذ الى العقاد الحكيم .

وكان جهدا مشكورا من الأستاذ عامر العقاد ان طلع علينا بهذا الكتاب الذى يضم على حد قوله فى مقدمته أوابد عقادية خطها قلم العقاد فى الفترة الأخيرة من حياته ، هى فى جملتها حكم واقوال مأثورة وآراء شتى ونظرات صائبة وتأملات ان اتسع لها ذهن فلا يتسع لها غير ذهن العقاد .

فما قصة هذه الكلمات ؟

يقول الأستاذ عامر فى مقدمة الكتاب : لقد كتبها العقاد فى مفكرات صغيرة ، فوجئت بها بعد وفاته ، وتدل كتابتها على أنه كان يكتبها على فترات متباعدة ، فبعضها حكم وبعضها الآخر مشروع لكتابة مقال أو تأليف كتاب . ويبدو أنه كان سينشرها يوما ما ، الا ان العمر لم يسعفه ليتمها أو لنشرها . ويبدو انه كان يكتبها فى منتصف الليل قبل أن ينام حينما يخلو لنفسه، لأننى لم ألحظه طوال ملازمتى له يكتب فى تلك المفكرة على الاطلاق .

اذن فهذه الكلمات الأخيرة للعقاد لم تنشر من قبل ، الا اننا وقفنا فى قراءتنا لهذا الكتاب على فقرات عديدة مستقاة من كتب العقاد نشرت من قبل بل قبل سنين مديدة منها قوله « الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء ، لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها ، وليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشىء ماذا يشبه وانما مزيته أن يقول ما هو ، ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به » ومن جملة ما نشر من قبل وجاء فى هذا الكتاب هذان البيتان الشهيران للعقاد :

ايه يا دهر هات ماشئت وانظر
عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك الا
هان بالصبر منه ما لا يهون

لكن هذا لا يغض من قيمة الكتاب فى شىء وكثرة ما جاء فيه جديد .

« انه خير لنا أن يكون معنا مجازفون متهوسون من أن لا يكون بيننا مجازفون على الاطلاق ، فيقتلنا حب السلامة ، وتحسبنا ناجين وادعين ، ونحن فى الحقيقة نعرض انفسنا لأرذل الأخطار ، وأى خطر ارذل من استكانة النفس وتقلصها من قشورها .

« يومنا الجديد فى سنتنا المقبلة لتكن درجا فى سلم ولا تكن دركا الى منحدر .

« الشعر حياة او سلعة .. أن يكن حياة فهو من الروح ، وان يكن سلعة فهو من السوق .

« حب الحق أكرم من حب الصواب ، حب الحق غيرة وحب الصواب حساب .

« كن شريفا امينا ، لا لأن الناس يستحقون الشرف والأمانة ، بل لأنك أنت لا تستحق الضعة والخيانة .

« الواقع ليس هو الحق ، لأن الباطل ايضا واقع لاشك فيه ، انما نبحث عن الحق حين ننكر الواقع ، فنبحث عن تسويغه أو نبحث عما وراءه والحق شىء نبحث عنه ، أما الواقع فشىء غنى عن البحث لأنه موجود ملموس .

« النسك صورة من صور الحياة ، وليس ادل على ذلك من أن الأمم الناسكة تحرم قتل كل حياة حتى حياة الحشرات .

« عند الحب سهر أحلى من حلم النـــوم ، ونوم أيقظ من سهر الخلود . عنـد الحب نور يطوى الشمس والقمر ، وموعد ينسى الليـــل والنهار . عند الحب حياة يهون من أجلها الموت، وموت تباع من أجلها الحياة .

« ان الذين يذمون الحياة هم الراغبون فى حياة خير منها لا الراغبون فى الموت كما يتوهـم الكثيرون ، وربما كان ذو النقمة والسخط على الحياة أرغب فيها ممن يرضون عنها ويرتعون فى صفوها ونعيمها ، كما يكون المقامر الخاسر أرغب اللاعبين فى ملازمة مائدة اللعب الى النهاية .

« الرجل الذى يحبه جميع الناس لا يحب جميع الناس ، لأن المحب يصادق ويعادى فى سبيل المحبوبين ، ومن صادق وعادى لم يسلم من الأعداء .

« قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك ، وقد يحسدك الحاسد لتصبح نظـيره وهو آلام الحاسدين .

« اذا احبك القوم مخدوعين فلا تفرح ، واذا كرهك القوم مخدوعين فلا تحزن ، بعض الكراهات خير لك من بعض المحبات .

« الموت اعم المصايب وقوعا ، ولا يزال اشدها ايلاما واقلها قبولا للعزاء ، على ان ذلك لا يفيد انه غير مألوف ، ولكنه يدل على أن الانســـان لا يجزع لمصاب غيره كما يجزع لمصاب نفسه » .

هذه بعض كلمات العقـاد ... من آخر كلمات العقاد .

الهند .. شعبها وأرضها

تأليف : مانوراما موداك .
ترجمة : العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم.
مراجعة وتقديم : الدكتور عز الدين فريد .
الناشر : مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ٢١٧ صفحة ١٧×٢٠ . ث. ٣٠ قرشا .

مؤلفة هذا الكتاب سيدة هندية ، عاشت فى الولايات المتحدة سنوات من عمرها ، استطاعت، خلالها أن تؤدى خدمات جليلة لوطنها وللثقافة الانسانية بوجه عام ، بما ألقته من محاضرات قيمة فى الجامعات والهيئات والمنتديات الثقافية الأخرى . وهذا الكتاب يعد ثمرة من ثمرات هذا الجهد الكبير خرجت به علينا مؤسسة فرانكلين ضمن مجموعة « حول العالم فى كتب » ، وهى سلسلة تستهدف توطيد اواصر القربى ، وتقوية عناصر المودة بين شعوب العالم فى انحائه المختلفة كافة .

والهند التى تحدثت عنها المؤلفـة ليست الهند التى نراها الآن فحسب ، وانما هى الى جانب ذلك ارض الحضارات القديمة الزاهرة ، ارض السحر والغموض والتأمل ، ومهـد بوذا وجوبتا وأشوكا الى جانب انها مهد طاغور وغاندى ونهـرو .

واوضحت المؤلفة فى المقدمة الغرض من تأليفها هذا الكتاب بقولها « تبدو فى هـذه الصفحات بعض الحوادث البارزة التى مرت بالهنـد فى آلاف السنين من تاريخها الطـويل . وتوضح الصورة العامة شعبا أبقى مجرى حيـاة افراده جاريا متماسكا لآلاف السنين ، حدثت عبرها حركات مد وجزر فى الحياة والأفكار استمرت مئات السنين ،وتوالت فيها فترات جمـود وتوقف ، وفترات انتعاش واعادة بناء » .

والديانة الهندية احدى الملامح المميزة للهند وهى ذات جذور معرقة فى القدم ، وليست ديانة فحسب وانما هى تنظيم اجتماعى أيضـــا ، فالمجتمع ينقسم الى طبقات ذات نظام حـــاد صارم ، ويوجد قوم ليست لهم طبقة ، هؤلاء هم المنبوذون . ولا يخفى أن الغزاة القدماء لأرض الهند كان لهم دور كبير فى ايجاد هذا النظام .

واذا كانت الهندوكية هى الديانة الغالبة لدى كثرة الشعب الهندى الا أن جو تاما المســتنير (بوذا) كان له تأثير عظيم على طبيعة التفكير فى الهند . وان الهند القديمة والمعاصرة كلتاهما معا تستمدان من بوذا فيضا من حكمته وزادا من سيرته ودعوته ، ومن الممكن أن نعتبر دعـــوة غاندى المعروفة ومذهبه فى « اللاعنف » من بعض

النواحى امتدادا لبوذا الذى يقول « ان جشع الانسان سعيا وراء الملذات هو مبعث الألم والأسى فى العالم ، فاذا ما قلت رغباتنا قل حزننا واسانا . والسبيل الى الحد من رغباتنا ، هو أن نسلك طريقا سويا فى هذه الحياة الدنيا بالقول الحق والعمل الصالح والتفكير السليم » .

والكتاب يعطينا صورة مشرقة للهند ما بعد الاستقلال ، وما تحقق من آمال بفضل القيادة الحكيمة المخلصة وبفضل عزم شعبى وطيد للسير بالهند فى ركب الحضارة الحديثة والخروج بها الى عالم القرن العشرين ، ويعطينا ايضا نماذج جيدة لأبطال الأمس وابطال اليوم للأسرة الهندية وما يسودها من محبة وتعاطف وتواد هى نموذج لأخلاق الأمة نفسها .

هذا عرض سريع لكتاب عن الهند بقلم كاتبة هندية أجادت وأفادت . لكن الكتاب تنقصه اشياء كنا نود لو انتبهت اليها المؤلفة . فالفترة الأسلامية لم تهتم بها الاهتمام الكافى ، ونخص بالذكر هنا تاريخ الاسلام فى الهند قبل السلطنة المغولية . كما أنها فى عرضها لتاريخ الحركة الاستقلالية تؤيد وجهة النظر الهندية تأييدا فيه تحامل على دور المسلمين فى تلك الحركة . وما تقوله المؤلفة من ان دعوة الاسلام جاءت نتيجة لتأثر محمد بالأديان الأخرى السماوية الموجودة فى بلاد العرب رأى يحتاج الى مراجعة . كذلك قد يكون فى رد كلمة الأم ومقابلاتها فى اللغات المعروفة الى أصل سنسكريتى واحد هو matra تطرف غير مقبول عند الدارسين .

اما عن الترجمة فهى حسنة بوجه عام ، لكن هناك من الأسماء ما نعتقد انه يحتاج الى دقة فى ترجمته الى العربية فالأم وليتشيا والمنوان والسيسيان صحتها عيلام وليكيا أوليشيا والمينويون والاسكيثيون على التوالى والرجويدا صحتها الرجفيدا ، اما مؤسس دولة باكستان فقد اعتدنا أن نعرفه بمحمد على جناح وليس محمد على جنة كما جاء فى الكتاب .

كون تيكى

تأليف : ت . هيردال .
ترجمة : دكتور عبد الرحمن أيوب .
مراجعة : على أدهم .
الناشر : عيسى البابى الحلبى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ٣٠٦ صفحة قطع كبير .

فى احدى سنوات القرن الخامس الميلادى ، وعلى ضفاف بحيرة تيتيكاكا بأمريكا الجنوبية ، جرت معركة عنيفة بين شعبين من الشعوب الساكنة هناك ، فكان فى ذلك بدء التاريخ الحقيقى لشعب بولينيزيا فى المحيط الهادى .. وركب الزعيم (كون)تيكى البحر وسار غربا ، الى ان حط الرحال فى جزر البحار الجنوبية ، ليحظى بالسطوة هناك ويرتفع عند قومه الى مقام الآلهة .

تلك هى الحقيقة العلمية التى يريد هذا الكتاب أن يقولها ، وهو رأى كان له أنصاره من العلماء ، وكان له خصومه أيضا ، وكل له حججه .. ولكن عالما نرويجيا من أنصار هذا الرأى استطاع ان يأتى بالدليل القاطع على سداد رأيه ، وأعاد الى أذهاننا نحن أبناء القرن العشرين قصة الزعيم كون تيكى وقومه ، فركب البحر أيضا صحبة خمسة من زملائه العلماء أحدهم سويدى والآخرون من النرويجيين . وقد لا يصدق القارىء انهم قاموا برحلتهم هذه الى اغوار المحيط على ظهر طوف مصنوع من خشب البالسا الذى يطوف على الماء بسهولة .. وقدر لهذا الفريق من العلماء أن يصل الى هدفه المنشود بعد مسيرة مائة يوم ويزيد وسط الأنواء وتحت رحمة وحوش البحر وصخور المرجان .

والكتاب يزيد فى حجمه على الثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، عدا ماحواه من صور بديعة مطبوعة على ورق فاخر .. لن نستطيع أن نعرض له فى أسطر قليلة ، ولكن يكفينا ان نقول ان روح الفيكنج القديمة قد عادت الى الحياة من جديد فى شخوص هؤلاء العلماء الستة من الشماليين . فهم ليسوا أصحاب علم فحسب ، وانما هم ايضا قوم ذوو خيال واسع ونزعات رومانتيكية عالية .. هم أدباء أو ذوو حس أدبى ، خاصة مؤلف الكتاب وهو احدهم ، اذ استطاع أن يقنعنا من خلال كتابه بأن ما كتبه يعد أدبا ، كما يعد بحثا فى باب من أبواب العلم وفى منحى من مناحى المعرفة .